روايات عبير

عندما اختفى القمر

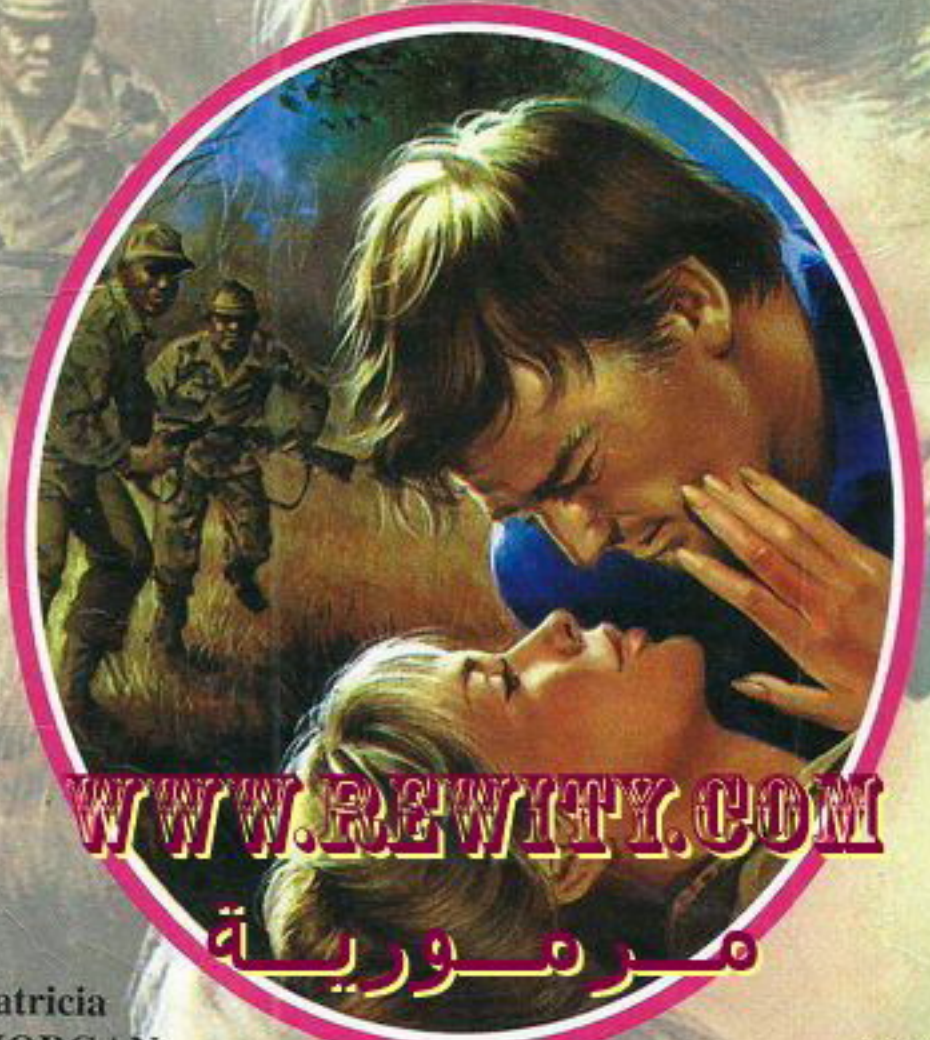

WWW.REWITY.COM
مرمورية

Patricia
MORGAN

N°569

روايات عبير

سألت
"كاترين" "ويليام" في فضول :
- ما الذي أعطيته للساقي ؟
- هذا ليس من شأنك يا عزيزتي .. هذا المساء لي ولك .. هل تقبلين أن تلبسي خاتمي ؟ البقية تأتي فيما بعد .. هل أنت سعيدة ؟
نعم .. إنها سعيدة .. إنها ليلة غير عادية .. لم تكن تحلم بها .. بل إنها ليلة غير حقيقية .. أن تكون هكذا مع "ويليام" إنه نوع من الخيال ، والخيال دائماً له نهاية .. ورغم محاولاتها كانت تعلم أنه يحسّ باضطرابها .. سألها :
- ماذا هناك أيضاً يا أميرتي ؟
- لا شيء .. لا شيء على الإطلاق .. إن ما سيأتي فيما بعد هو الذي يزعجني.

ISBN 9953-424-39-X
9 789953 424392

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢،٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

الغلاف الأمامي

تنجب "كاترين" طفلا غير شرعي وهي في السابعة عشرة من عمرها بعد قصة حب مع "ويليام" الذي هرب، واضطرت للتخلي عن الطفل لأسرة اخرى. تواصل دراستها في بلدة اخرى، وتعمل في الصحافة ثم تعود إلى البلدة مرة اخرى حيث تحقق نجاحا اجتماعيا ادى إلى انتخابها عمدة للبلدة.

بعد عشر سنوات يقتل والدا الطفل بالتبني، وتعيده المحكمة إلى وصايتها ولا تستطيع أن تخبره بالحقيقة.

ينجح "ويليام" في قطاع الأعمال،ويصبح من كبار الأثرياء وتحيك الخالة "فيك" مؤامرة لتعيده إلى البلدة؛ حتى يساعد "كاترين" في الاحتفاظ بابنها لنفسها، وعودة العلاقة العاطفية بينها وبين "ويليام".

شخصيات الرواية

- "كاترين سانكلير": شابة في السابعة والعشرين عمدة بلدة "دارك ريفر" والام الحقيقية لـ"مايك".
- "ويليام دارك": شاب ناجح في قطاع الأعمال هرب بعد علاقة حب مع "كاترين" وهما في السابعة عشرة.
- "مايك": ابن "كاترين" و"ويليام" غير الشرعي في التاسعة من عمره
- الخالة "فيك": خالة "كاترين" والتي تولت تربيتها بعد وفاة امها وإهمال والدها لها.
- "جو هول": صاحب فندق ومطعم "دارك"
- "نانسي": سكرتيرة "كاترين".
- "فريد": حلاق البلدة.

www.rewity.com
مـــروريـــة

الفصل الأول

"تعالي لمقابلتي عند منتصف الليل في المكان الذي تعرفينه".

لم يكن هناك طابع على الخطاب، ولم يكن مرسلا بالبريد، ولا يوجد أيضا توقيع. ولكن "كاترين سانكلير" لم تكن في حاجة إلى توقيع.

كورت "كاترين" الخطاب في يدها، وأقلقت ضوضاء التكوير سكون الصباح.

أخذت تراقب من الشرفة "مايك" وهو واقف فوق المنط دون أي خوف وقد شد جسده مثل الرمح استعدادا للغوص. نظر حوله نظرة شاملة؛ ليتأكد من أنها تراه جيدا. وأتت بحركة في وجهها تعلمه بأنها تعلم.

عندما غاص جسده في الماء أحست بموجة من الحنان تغمرها. إن ابنها "مايك" ذا الأعوام التسعة الذي فقدته قد عاد إليها مرة ثانية حتى وإن لم يكن يعلم بعد أنها أمه. والآن عاد "ويليام" أحست فجأة بعدم الارتياح وكان عيونا خفية تراقبها من خلف الشيش المغلق للنافذة.

أجبرت نفسها على الذهاب؛ لتجلس في الشمس على مقعدها الهزاز وهي تستسلم للحركة الرتيبة الرقيقة رافضة أن تفكر في الدورة التي سارت فيها حياتها.

كل شيء بدأ من ستة أشهر مضت برسالة من النائب العام يعلنها بوفاة والدي "مايك" المتبنيين له. والآن وقد عثرت أخيرا على الطفل الذي هجرته وهي في سن السابعة عشرة. تتلقى رسالة غامضة من والده.

- هل هناك ما لا يسير على ما يرام يا "كاترين"؟

رفعت "كاترين" عينيها نحو خالتها "فيكتوريا" التي كانت تفرز بريد الصباح. مرت لحظة طويلة قبل أن تتمكن "كاترين" من الرد. إنها لم تكن مستعدة لأن تتلقى أخبارا عن "ويليام".

- لقد عاد "ويليام دارك".. وهو يريد مقابلتي هذا المساء.

نهضت "كاترين" وسارت حتى نهاية الشرفة. راقبت الحديقة وهي تمرر أصابعها في حركة ساهمة في شعرها مما أفسد تسريحته. كان شعرها فوق عينيها يجعلها تشبه فتاة في العاشرة من عمرها، تماما كما كانت في تلك السن وهي تسبق الريح بدراجتها.

رفضت أن تعطي خالتها مزيدا من التفاصيل ولا حتى التفكير في الموضوع مسبقا. يا للعزيزة الخالة "فيك". آه لو لم تكن موجودة هناك من عشر سنوات لما كانت لديها القوة دون شك أن تتحمل قرار تخلي "كاترين" عن طفلها. لقد مزق ذلك قلبها بجرح لم يندمل أبدا. ورغم أن "كاترين" كانت مقتنعة تمام الاقتناع وبإصرار أن دارا مستقرة وأبوين محبين هما أعظم شيء يمكن أن يحدث لابنها ولكن اختيارها هذا حطمها نفسيا. لقد صنعت حياتها.. حياة مسيطرة عليها، وآمنة ووحيدة وقد منحتها الحياة فرصة ثانية. لم تكن مشكلة إعادة "مايك" إلى البيت. ولكن المشكلة هي في أن تشرح له أن والديه اللذين عشقهما

www.rewity.com

لم يكونا والديه الحقيقيين. لقد كان الوقت مبكرا على ذلك. قالت:

- ليس هناك مجال للنقاش في عدم مقابلتي له يا خالتي "فيك". إنني لا أستطيع. ماذا يظن نفسه "ويليام دارك"؟ لقد انتظرته من عشر سنوات ولكنه لم يحضر أبدا. وفجاة تجتاحه الرغبة للقيام بجولة في البلدة وهو يامل ان اجري للقائه.

وافقتها خالتها بهزة من راسها:

- إن هذه حذلقة وادعاء من جانبه، ولكنه كان واثقا دائما من عواطفك نحوه. أليس كذلك؟

قالت "كاترين" منفعلة:

- عليه أن يعود من حيث أتى. ليست لديّ أية نية أن أقابل "ويليام دارك" في منتصف الليل عند النهر، وليست لدي ايضا النية أن أقابله على الإطلاق.

- لا أريد أن أبدو وكأنني أتدخل في الأمر يا "كاترين" ولكن ألا تعتقدين انه من الواجب أن تبوحي له بكل ذلك؟ أريد أن أقول بالنسبة لموضوع "مايك".

- لا بالتأكيد يا خالتي "فيك". لقد ظللت سنوات طويلة أمل أن أستطيع أن أحكي له عن ذلك.. والآن لقد فقد الحق في معرفة الحقيقة. أوه يا خالتي "فيك"! لماذا عاد؟ إنني لا أعرف بعد كيف أشرح لـ"مايك" أنني أمه الحقيقة، وكذلك مقابلة "ويليام"...

- الحق معك دون شك. إن الذهاب لمقابلة "ويليام" خلسة وسط الليل هو عمل أحمق حتى عندما كنت تقومين به وقتها. فما بالك الآن؟ لماذا لا تستقبلينه في مكتبك؟ حسنا.. إذا كنت تريدين حقا أن تعرفي ماذا يريد أن يقوله لك.

هل هي حقا تريد أن تعرف ما يقوله؟ إن سخرية الخالة "فيك" ضاعفت

من اضطرابها. سرت في سلسلتها الفقارية رعدة خوف، وأخذ قلبها ينبض بلا انتظام. أيا كان ما سيحدث فإن مقابلة "ويليام دارك" ستكون غلطة. ما حاجته إذن للعودة؟ ألم يتمكن من أن يرسل هذه الكلمة من عشر سنوات؟ لقد انتظرت في لهفة وإصرار خطابا منه إلى أن فقد ذهنها أي رغبة في إيجاد عذر له لعدم إرساله. عندما كانت في أشد الحاجة إليه لم يكن موجودا، واليوم ها هو يظهر دون سابق إنذار!

أخذت "كاترين" الخطاب وفردته ثم دسته داخل سترتها وكان ملمسه سيهدئ من حواسها. ما لم يكن "ويليام" لديه عمل في نهر "دارك". فليس لديه ما يقوله؛ وعليه فإن الأعمال يمكن مناقشتها في المكتب وليس في مكان سري وفي منتصف الليل. لقد مرت سنوات أكثر من اللازم بحيث لا يوجد ما يستحق أن يقوم بينهما. لقد كانت وقتها في السابعة عشرة من عمرها.

قالت الخالة "فيك" وهي تعاود الهجوم:

- حسنا. إذا كان في البلدة فلا أجد طريقة يمكنك بها أن تتجنبيه، ومن الأفضل أن تتوقعي لقاء عارضا.

وضعت الخالة "فيك" بقية البريد في جيب مريلتها قبل أن تنهي كلامها في سخرية:

- على أية حال فإن عمدة "دارك ريفر" بولاية "جورجيا" تستطيع أن تفعل اختياراتها. أليس كذلك؟ ولكن لو أرادت أن تشرف دعوة الغداء في نادي البستانيين فإن عليها أن تتحرك قليلا.

قالت "كاترين" متهكمة وهي تعود إلى أرض الواقع:

- وسنذهب إلى هناك من أجل سلطة الدجاج وحلوى "الالماظية" الوردية!

- أخشى ذلك يا عزيزتي! منذ أن رفضوا اقتراحي بتقديم المشروبات

www.rewity.com

والعصائر المنعشة فقد استقلت. وانا شخصيا اعتقد ان تغييرا طفيفا في قائمة الطعام سيرفع من الروح المعنوية.. والجسدية..

- خالتي "فيك"!

- وغدا يقدمون شرائح اللحم المشوي مع البطاطس المقلية والصلصة الحريفة! على أية حال إن الامر مثير للبلبلة مثل الحياة في "دارك ريفر". على كل فإن اللحم المشوي والبطاطس المقلية ليسا أسوأ من "البتي فور" والمياه الغازية!

اوشكت "كاترين" ان تلقي الخطاب المكور في سلة المهملات ولكنها تراجعت في آخر لحظة سالتها الخالة "فيك".

- من اي شيء تخافين؟

اوشكت "كاترين" ان تجيبها بانها تخاف من "ويليام دارك" طبعا ولكنها تراجعت.

- إنني اخاف من ردود افعالي يا خالتي.. من الأفضل ان اذهب.

سحقت "كاترين" الخطاب في يدها وهي تتجه نحو الباب ثم اضافت:

- سأذهب إلى المكتب يا "مايك".. إلى اللقاء.

اجابها وهو متجهم:

- حسنا.. يا "كاترين".

نظرت الشابة نظرة والهة إلى ابنها وهي تشعر بالفخر. إن "مايك" صبي صغير وعنيد مثل والده. لقد تلقى نبأ موت والديه المتبنيين بطريقة رائعة، وكان من الواضح انه دهش عندما شرحت له "كاترين" انها صديقة قديمة لأمه، وان رغبة والديه هي ان يأتي ليعيش في "دارك ريفر". إنه يحتاج إلى بضعة أسابيع حتى يتعود. اما بالنسبة لها فإنها لا تستطيع أن تتصور الحياة بدونه.

كانت "كاترين" تشعر بالحرج الشديد من ان تشرح له انها امه

الحقيقية. كانت تتوقع ان تكون الصدمة كبيرة جدا على هذا الصبي الذي أساءت إليه الحياة. ثم لم تستطع إلى ان تقول له الحقيقة حيث كانت خائفة أن تفقده. وفي الليل كانت الشابة تجلس بالقرب من سريره وهي تسمع صوت تنفسه.. ذلك الصبي الذي أوشكت ان تفقده.

هل عاد "ويليام" ليسترد "مايك"؟ إذن فعليه ان يتوقع ان تصارع حتى آخر قواها.

لم تعد "كاترين سانكلير" فتاة شابة مذعورة. إنها عمدة "دارك ريفر" وتخلت من زمن بعيد عن الحلوى والكوكاكولا التي كان الشاب يحضرها معه من أجل نزهاتهما الخلوية السرية على ضفاف النهر. إنها لن تسمح لنفسها بعد الآن ان تذهب إلى الغداء الشهري في نادي البستانيين مرتدية الصندل وثوب الصيف الخفيف حتى شهر يونيو الحار الرطب. وباعتبارها عمدة يجب ان تحافظ على صورتها. واليوم بوجه خاص تحس بالحاجة الا تظهر سوى الجانب المهني لمدينتها الصغيرة.

###

بعد ثلاثين دقيقة اتجهت نحو الفندق الخاص بـ"دارك ريفر" وبينما تقود سيارتها أخذت نظراتها تتجول بين المنازل القديمة المصطفة على طول الطريق الغارق في أشعة الشمس، ورغم أن "دارك ريفر" منضمة إلى "سافانا" إلا انها احتفظت بسرها. وقد امتدت أفرع أشجار البلوط المعمرة لأكثر من مائة سنة نحو السماء، وكانت الأرض السوداء تغذي الزهور البرية الغريبة في الحدائق التي على جانبي الطرق حيث تسكن نفس العائلات من قرون، وكانت تلك البلدة يحدها المحيط الأطلنطي من الشرق، ونهر "دارك ريفر" من الغرب، وهي تحتفظ بالماضي، ومتمسكة

www.rewity.com

بالتقاليد القديمة، ولم تتغير عمليا من قرنين.

###

كان الرجل الواقف على عتبة مكتبها بعد ظهر اليوم التالي، قد تغير تماما لم يعد به أي شيء من ذلك المراهق ذي السبعة عشر عاما، والذي كان خشنا ومليحا وقتها. كان "ويليام دارك" يبدو وكأنه خرج لتوه من محل آخر موضة.

ارتدى حلة من الحرير الكريم، وبنطلونا فاخرا من التيل، وقميصا مفتوح الياقة، وكان "ويليام" قد زاد وزنه وقد أعطاه ذلك نوعا من الثقة والشعور بالراحة.

- صباح الخير يا "كاترين". لقد مر وقت طويل منذ آخر لقاء لنا...

كان صوته عميقا.. وكل ما قدمه هو تحية الترحيب العادية تماما مثلما كان يفعل عند لقائهما من عشر سنوات. ولكن لم تكن لهجة صوته ولا الكلمات التي قالها هي التي أثرت فيها أكثر وإنما عيناه السوادان العميقتان شبه المنومتين مغناطيسيا لها. أحست بقوة حضوره تماما كما كانا وهما مراهقان على ضفاف النهر.

ردت عليه بمنتهى الرقة:

- لقد مرت عشر سنوات بالضبط يا "ويليام".

- أفضل أن تناديني بـ"ويلي". إن اسم "ويليام" يعيدني إلى سن السابعة عشرة وهذا يذكرني أن عليّ أن أواجه مواطني هذه المدينة الطيبين.

- إنك لازلت تجيد من أن تجعل من الحبة قبة؛ ومن المحتمل جدا أن يوجد عدد قليل من الأشخاص في مدينة "دارك ريفر" يتذكرونك. فقد رحل معظم الشباب عن البلدة أما العجائز فقد انتقلوا إلى رحمة الله. فضلا عن أنك تعودت القول إنك تسخر دائما مما يقوله الآخرون.

همس قائلا:

- نعم.. فعلا.. لقد قلت ذلك كثيرا.. جدا.

- إذن فإننا متفقان. ادخل يا "ويليام".

أصبح "ويلي دارك" فجأة "ويليام" مرة ثانية. كانت ذكرى ماضيه الذي عاد قد أعاد الألم الهاجع بداخله من فترة. تبع الشابة إلى أحد المقاعد الوثيرة ذات المساند والظهر العالي الموضوعة أمام المكتب. كانت "كاترين" هادئة وباردة والصورة المثلى للمرأة المتحفظة. لقد تخلصت من طيشها وخفتها وأصبحت نموذجا للسيطرة على النفس والجمال الفتان. أخذ يتأملها فترة طويلة، وأحس بأن بينهما جدارا غير مرئي. كان غير مرئي ولكنه كان محسوسا. كيف تصور أنه سيكون من السهل عليه أن يلقاها ثانية؟

كانت "كاترين" فعلا جميلة جدا بلونها الذي يشبه لون الخوخ وتقاطيعها السليمة المتناسقة. وتحت نظرات "ويلي" الملحة بدأت الشابة تحمر مما جعله يطلق زفرة ارتياح. فرغم المظاهر كانت "كاترين" تحس بعدم الارتياح مثله. كانت عيناها الزرقاوان تعكسان الحيرة المنبعثة بداخلها. ولكن شعرها الذي يعكس آلاف الأشعة الذهبية هو الذي جعل أنفاسه تلهث.. لقد تذكر أن ذلك الشلال من الشعر المنسدل حتى وسطها يثير لديه ذكريات.. جعلته يحس بالألم.

اضطرب السكون السائد بينهما على صوت تنفسهما وظلا يتأمل كل منهما الآخر فترة طويلة بدت لهما كالأبد.

زم "ويلي" شفتيه وقطب جبينه تقطيبة تعرفها "كاترين" تماما بينما ضاقت المسافة بين حاجبيه تحت تأثير التوتر والإحباط. كان يعرف أنه بهذا يكشف عما يعتمل بداخله من عواطف لا يستطيع أن يكتمها، والله وحده يعلم أنه إذا كان قادرا على التحكم في نفسه وسط مجلس الإدارة

www.rewity.com

والاحتفاظ بهدوئه الشديد إلا أن هذه المرأة تجعله شديد الاضطراب.

بحث "ويلي" على وجه الشابة عن أي أثر للانفعال ولم يستطع أن يصل إلى معرفة ما لا يسير بينهما. لقد دهش أيما دهشة عندما تلقى مكالمة الخالة "فيكتوريا" التليفونية التي شرحت له أن ابنة أختها تعاني مشاكل تحتاج إلى معونته، وقد رتب "ويليام" في الحال مع مساعده أن يعنى مؤقتا بالشركة وجاء مهرولا. لقد كان سعيدا دون شك؛ لأنه مرت عشر سنوات يحاول فيها أن يعثر على عذر للعودة إلى "دارك ريفر".

تساءل ما الذي يجري؟ إن "كاترين" مسترخية وباردة لأقصى درجة. كان يفترض أنها ستثور غضبا عليه وتطلب منه تفسيرات. وهي على حق تماما لو فعلت؛ لأنه لم يكن فخورا بالطريقة السيئة التي عاملها بها. أحس فجأة بخوف رهيب من ألا ترغب في أن تكشف له عن أي شيء وهو لا يعرف الكثير. كان "ويليام" أستاذا في فن إخفاء عواطفه، وكان طفلا ذكيا ثم مراهقا متمردا، وعندما ادعى أنه يسخر مما يظنه الآخرون كان يكذب على نفسه.

أعاد "ويلي" تقطيب حاجبيه. ما هي الطريقة التي يستخدمها ليستعيد ثقة "كاترين"، وكان يتساءل عن ذلك وهو يتناول إفطاره في خان "دارك ريفر" حيث يقيم.

كان قد أعد عدة طرق مختلفة للتقرب من الشابة ولكن الصفقات بملايين الدولارات كانت تعتبر لعبة بالنسبة للقائه مع "كاترين". قال أخيرا:

- ألم تتزوجي بعد؟

- كلا.

يالله من غبي! لماذا طرح عليها هذا السؤال؟ لقد كان يعلم -على

اليقين- أنها غير متزوجة. لقد أخبرته الخالة "فيك" بذلك، وعرف أيضا أنها امتهنت الصحافة قبل عودتها إلى "دارك ريفر" حيث عملت مباشرة في محطة الإذاعة المحلية ثم التحقت بجماعات اجتماعية وأنشطة مختلفة أدت بها إلى انتخابها عمدة للبلدة وها هي قد أصبحت في سن السابعة والعشرين مشهورة.. ووحيدة! مثله.

أخيرا استرخى "ويلي" بقوة الإرادة وفرد نفسه في راحة على مقعده الوثير. لابد أن يبدو باي وسيلة ودودا وحارا وهو أمر عادة سهل بالنسبة له. إن هذا اللقاء لم يأخذ مجراه المتوقع. إن رؤيته لـ"كاترين" أطارت في الحال بكل تصميمه، ثم إن الخالة "فيك" كانت غامضة جدا الأمر الذي لم يجعله يتقدم كثيرا. لقد حاول أن يوجد الطريقة العاطفية في نبرات صوته، ولكن ذلك لم يفلح. إنه لا يعرف ماذا يجري و "كاترين" هي الوحيدة التي تستطيع أن تخبره. هل سيتمكن من أن يجعلها تعترف؟ والذي زاد الطين بلة أن نظرة واحدة منه كانت كافية لأن تجعله يفهم أن عواطفه نحوها لم تتغير، وكان في أعماق قلبه الصريع ظلت "كاترين سانكلير" حبيبته الصغيرة.

قبل اليوم بست سنوات اضطر إلى مغادرة "دارك ريفر"؛ وبالتالي فعلت "كاترين" مثله. كان عليه أن يتغلب على عاطفة الشعور بالذنب لو أراد أن يعرفها مرة ثانية، وكانت مشكلته الوحيدة هي قلة الوقت. لابد أن يذهب إلى "السعودية" خلال أقل من شهر.

أحس بوريد ينبض في خده وهو يرى عدم الثقة في عيني "كاترين". إنه يحاول أن يجد طريقة لإيجاد الاتصال بينهما.

لقد أظهرت أنها صديقة وفية خلال شبابهما المبكر. إنه لابد من أن يحصل على إجابات وعفو وسماح. إن كلا منهما مدين بذلك للآخر. إن كلا منهما مدين للآخر بالحقيقة.

www.rewity.com

سالته:

- لماذا انت هنا؟ إننا لم نعد مراهقين على حد علمي.

- للأسف وإلا لكان الأمر سهلا اكثر.. لقد عدت لسببين: أحدهما أن اقابلك...

انتفضت "كاترين" وشدت قامتها وهي في مكانها، ثم تظاهرت بانها لم تسمع ما قاله، وكانت ملامحها المشدودة تنذر "ويليام" انها لن تجعل الأمر سهلا عليه. واصل حديثه:

- انا آسف بالنسبة للكلمة القصيرة التي ارسلتها لك، وكان من الواجب عليّ الا اكتبها اصلا ولكني خشيت الا ترغبي في رؤيتي ومقابلتي. إنني اردت فقط الحديث مع "كاترين" التي كنت اعرفها. ولكني اكتشفت انني مخطئ.. لقد اخطات عندما اردت ان العب بذكرياتنا.

- نعم انت مخطئ.. ما هو السبب الثاني؟

كان "ويليام" قبل دخوله مكتبها قد قرر أن يتقدم على مراحل.. كل خطوة قبل الأخرى كانه يتعامل مع عدو خفي. إن هذه المرأة اسمها فعلا "كاترين" ولكنها لا صلة لها على الإطلاق بـ "كاترين" التي كان يعرفها. إنها تحتفظ بالمسافات بينهما. إنه لا يستطيع ان يخبرها انه هنا من اجل مساعدتها في حل مشاكلها التي تواجهها او بالأحرى مشكلة واحدة.

ولكن هناك جزئية ظهرت لم يعمل لها حسابا مسبقا. لقد كان دائما هناك شيء بينهما. اخذ "ويليام" يفكر في أن ماضيهما الذي تشوبه الظلال يمكن ان يتخذه وسيلة للقفز إلى الحاضر. كل آماله تبخرت امام ضجة في الدهليز، وانفتاح باب المكتب فجاة، وظهر "مايك" متقطع الأنفاس:

- تصوري يا "كاترين"... عند الحلاق هناك صورة تمثيلية للثورة ما بين المحافظين والعمال المعروفة باسم ثورة "الويجز والتوري" وبوارج حربية فوق النهر والناس الكبار يمثلون! وليس الأطفال. لقد قالت الخالة "فيك" لـ"فريد" الحلاق أن يسمح لي بالمشاهدة.

"كاترين"؟ الخالة "فيك"؟ حدج "ويليام" الصبي، وتوقف قلبه عن النبض: كان الصبي اشقر وعيناه زرقاوين تشبهان عيني "كاترين" تماما. فزع "ويليام" وهو يحس بالهواء ينقصه. اهذا يمكن ان يكون ابن "كاترين"؟ اخذت تلك الفكرة تتصارع في ذهنه.

كانت "كاترين" وراء مكتبها قد غمرتها عواطف متدافعة ومتباينة. لقد عاد "ويليام" وهو الرجل الذي تمنته اكثر من اي شيء في الحياة، والأكثر من ذلك انه يعرف سرها. مجرد نظرة إلى الصبي وإليها جعلته يهتز ويرتاع. وهي ايضا اصيبت بالهلع؛ لأن المحامي الذي يقوم بعمليات تبني "مايك" حذرها من الخطر الذي يمثله "ويليام" فإنها لو طالبت بإعادة الابن إليها تخاطر بان يعرف "ويليام" الحقيقة. لم تكن تفكر أنه سيظهر في حياتها مرة ثانية وبهذه السرعة وقبل أن تستعد.

قاومت "كاترين" الرغبة في طرد "مايك" بسرعة، وإنما تحدثت معه بلهجة حاولت أن تبدو طبيعية:

- لقد سبق واخبرتك أن تخطر "نانسي" قبل الدخول إلى مكتبي.

- أوه .. اللعنة.. لقد نسيت. و"نانسي" ليست موجودة والخالة "فيك" رحلت للتسوق، وقالت لي أن انتظر في المنتزه ولكن.. اووه لقد شاهدتك من النافذة و.. انا آسف يا "كاترين". توجد اماكن لطيفة وكثيرة في "دارك ريفر"! وحانوت الأدوية الذي يصنع جيلاتي منزليا فاخرا مثل الذي كنت اكله وقت... إنني منفعل جدا..

رغم حضور "ويليام" الذي جعل الموقف محرجا فإن "كاترين" لم

تستطع أن تكتم ابتسامتها المملوءة بالفخر. قالت للصبي:

- هذا السيد "دارك" يا "مايك".. إنه هنا في أعمال، وأعتقد أن عليك أن تذهب وتنتظر الخالة "فيك" في الخارج.

- أوه.. آسف.

زال الانفعال من صوت الصبي، وارتخت شفتاه وسأل في هدوء:

- السيد "دارك"؟ مثل "دارك ريفر"؟ هذا غريب وظريف. إن النهر يحمل اسمك. أليس كذلك؟

- سؤال مهم جدا أيها الشاب. أنا هنا لأعرف الإجابة عليه. إن آل "دارك" هم دائما منبوذو هذه المدينة. لقد عدت لمراجعة المحفوظات المحلية والاطلاع عليها.

همهمت "كاترين" وقد أحست بالارتياح:

- أوه.. هذا إذن سبب حضورك.

- نعم.

لاحظ "ويليام" تغير نبرة صوت الشابة. قال للصبي:

- إذن أنت تسمى "مايك".. أليس كذلك؟ إذن نادني "ويليام" ما دامت "كاترين" تفضل هذا الاسم على ما يبدو. لقد كان والدي وأنا في سنك يكرر دون انقطاع إن أحد أسلافنا هو الذي أسس هذه المدينة. ولكن أحدا لم يصدقه، وأنا ساقوم بإثبات الحقيقة.

- إنه أمر مثير يا "ويليام". وإذا رغبت أن ترى المشهد عند الحلاق فإنني أستطيع أن أريه لك.

- أحب ذلك كثيرا.

أصبح "ويليام" شبه متأكد وهو يرى تعبير وجه "كاترين" من أن اقتراح "مايك" سيجعلها تشعر بعدم الارتياح، وتأكد من ذلك عندما ردت قائلة:

- لا أعتقد يا "مايك" أنه ليس من الضروري عدم مناداة السيد "دارك" باسمه المجرد. إنه سوء أدب. اذهب وانتظر الخالة "فيك" في المنتزه.

زمّ الصبي شفتيه ثم اعتذر أخيرا:

- آسف يا سيدي. إلى اللقاء قريبا يا "كاترين".

دهش "ويليام" وهو يراه يناديها باسمها المجرد. هل "مايك" هو المشكلة التي حدثته عنها الخالة "فيك"؟

قالت "كاترين" له:

- أنا آسفة على هذا التدخل.. لم يكن لدي نية أن أقدم لك "مايك".

- ولكن لماذا؟

- لأنني كنت أخشى.. ألا تفهم. أقصد أن هذا الصبي لايزال تحت تأثير الصدمة. لقد قتل والداه في حادثة سيارة من ستة أشهر.

والداه؟ إذن "مايك" ليس ابن "كاترين". سألها:

- هل يعيش معك أنت والخالة "فيك"؟

- نعم.. لقد كنت قريبة جدا من أمه. لا يوجد لـ"مايك" أي أسرة أو أقارب.

كتمت "كاترين" زفرة. إن الكذب يسبب لها عدم الارتياح. على أية حال فإن "ويليام دارك" هو الأب ومن المحتمل أن يعرف ذلك بل كان من الممكن أن يعرف ذلك من سنوات عندما كانت صادقة لا تعرف الكذب، ولكن "ويليام" اختفى والآن ها هو موجود هنا ولن تبوح له بالحقيقة إلا بعد أن تحصل على بعض الإجابات. إن المخاطرة كبيرة جدا؛ لأن "ويليام" في الحقيقة له الحق في المطالبة بالطفل قبل قبول طلبها بتبنيه. لقد خسرت "مايك" وضاع منها مرة وهي ليست على استعداد لأن تغامر بفقده مرة أخرى.

همس "ويليام" بصوت غريب النبرة:

www.rewity.com

- إذن "مايك" طفل وحيد مثلما كنت أنا تماما.

لاحظ أن "كاترين" تبتسم في رقة. كثيرا ما كان يراها تبتسم هكذا عندما كانا مراهقين. كانت في كل مرة يصفق الباب في وجهها، وفي كل مرة من ثورات الغضب ضدها كانت موجودة ومتفاهمة ومستعدة للعفو عنه والصراع من أجله. والآن ها هي تساند طفلا آخر. أجابت:

- نعم.. في الحقيقة..

- لقد كان لديك دائما ميل لرعاية الكلاب الضالة. أنا لم أنس ذلك... وكنت تقومين بتربيتها... هل تفكرين في تربية "مايك" بمفردك؟

ابتلعت "كاترين" ريقها بصعوبة.. إنها على أخرها.. إن مقابلتها لـ"ويليام" كانت محنة رهيبة ولكن أن تراه بجوار ابنهما دون أن تستطيع أن تقول له الحقيقة هي محنة لا تستطيع تحملها.

- نعم.

زفر "ويليام": لقد رنت الكلمة وسط الصمت الذي ران بينهما مثل رنة ساعة الحائط وسط الليل. لقد عبرت ذهنه للحظات فكرة كون "مايك" في سن ابنك. كل شيء يمكن أن يصبح مختلفا بينهما لو كان فعلا ابنه.

غزاه قلق وهواجس رهيبة. قال:

- من حسن حظ "مايك" أنك لديه.

نهضت "كاترين" فجاة وذهبت ناحية النافذة التي تطل على الميدان. إنها هي والخالة "فيك" فقط يعلمان مدى ما لديها من حظ. لقد استطاعت أن ترى "مايك" وهو يجري خلف الحمام في ميدان "سان كلير" حول تمثال "صمويل سان كلير" الرجل الذي منح كل ثروته لإنشاء مدينة "دارك ريفر"، والذي أسس أسرتها.

أحست بـ"ويليام" يقترب منها. لقد أخطأ "ويليام". إن "مايك" ليس وحيدا على الأرض. لقد مات والداه بالتبني دون شك ولكن والديه

الحقيقيين كل منهما واقف الآن بجوار الآخر، وهما يشاهدانه يجري تحت ظل الأشجار في الميدان. طبعا هما ليسا معا. كبحت "كاترين" رغبة عارمة في أن تلف ذراعها حول وسط "ويليام".. والد ابنها. لقد كبر كل منهما دون أم. وهناك وقت كانت تشاركه الأمه. والآن هي تفعل نفس الشيء مع ابنها. لا أحد يعرف مثلها كيف يمكن أن يحس الابن بأنه وحيد. إنها لن تسمح أبدا بأن يحس "مايك" بهذه العاطفة من الوحدة والهجران والضياع. اعترفت "كاترين":

- لقد بدأنا لتونا في التعارف.. يبدو أنه تغلب على صدمة موت والديه.

- أنا واثق من أن الأمر شديد الوقع عليه. كم عمره؟

- إنه في التاسعة من عمره.

- فهمت.

رأى "ويليام" "مايك" وهو يلقي بنفسه على النجيل:

- سيكون من الصعب تربيته بدون أب. كلانا يعلم ما هي مواجهة الحياة في وحدة. أليس كذلك؟

- ربما.. ولكننا ناضجان الآن. الطفل يحتاج إلى أم.

- يمكنه أن يتغلب على تلك الحاجة فقد حدث ذلك لنا. ولكن الحقيقة أنه كان لي حظ. فقد وجدت أحدا بجواري يساندني مثل "مايك".. وهذا هو الاختلاف.

- أوه.. من هو؟

- أنت.

استعادت "كاترين" سيطرتها على نفسها وواجهته وابتسامة واهنة على شفتيها. إن الأحداث التي وقعت فجاة خلال اليومين الماضيين وضعتها في حالة من الصدمة هزت كل دفاعاتها الشخصية وهيكل

www.rewity.com مـــر مـــوريـــ

حياتها الذي بنته بعناية فائقة. لابد أن تعود إلى الإمساك بزمام الأمور قبل أن تسيطر عليها عواطفها كلية: و"ويليام"، و"مايك"، والماضي والحاضر.. كل ذلك يختلط بقوة عاصفة الصحراء. أحست أنها وقعت وسط دوامة لا نهاية لها. همست:

- فعلا.. كلانا في حاجة للآخر.. أنا و"مايك" ولكني.. ولكني آسفة.. لأن عندي موعد غداء مع عائلة "جيسي" بعد ربع ساعة.. أخبرني: ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- لست أدري إن كنت أستطيع.. إن خمس عشرة دقيقة لا تكفي يا "كاترين". الأمر معقد إلى حد ما.

- حاول.

عضت "كاترين" لسانها. إنها مضطرة مع الأسف أن ترحل. لقد ظنت أنها تستطيع أن تكون قوية ولكن مقابلتها له ثانية جعلت الماضي يظهر فجاة مليئا بسيل من الذكريات استطاعت أن تتغلب عليها بصعوبة ونجاح.

لم يرد عليها "ويليام" وإنما ظل يحدجها بعينين مليئتين بحزن لا معنى له ولا سبب واضح. إنها لم تهجره.. إنها لم تحطم حياته ولم تتركه وهو في سن السابعة عشرة مثلها يواجه مسؤولياته.

- لقد راودتني الرغبة دائما في إعادة شراء بيت عائلة "دارك" القديم. أمامي وقت قصير لتنفيذ هذا المشروع؛ ولذلك قررت العودة وإيضاح الكلام الذي تعود والدي على ترديده.

هل يريد الإقامة هناك؟ شعرت الشابة بالدهشة والذهول.

سألته لتغير موضوع الحديث:

- عن أي كلام تتحدث؟

- كلام السكير الذي كان يردده والدي.إنه يدعي أن نصف المدينة ملك له.

بدا على "كاترين" الامتعاض وقالت في استهجان:

- "دارك ريفر" ملككم؟ أوه يا "ويليام"! إن كل هذا ليس سوى هذيان رجل سكير. لا تأخذ ذلك في حسبانك لو سمحت. خاصة أنه يمكنك أن تشتري من الأراضي ما تريده دون حاجة إلى تلك القصة القديمة.

- نعم أستطيع ذلك في الحقيقة. إن تاريخ أسرتي هو الذي يهمني لابد أن أعثر على جذوري وأبني مستقبلي.

أحست "كاترين" برجفة تتملك سلسلة ظهرها. لقد بدا لها أنها لاحظت لهجة تدل على سوء النية في كلام "ويليام"... نبرة يأس تذكرها باستمرار حاجته الماسة لأن يثبت أنه شخص ما.

- ولكن لماذا؟ وما أهمية الماضي بالنسبة لك؟ أنت لست في حاجة إلى الماضي.

- إنني احتاج إليه.. إنني دائما كنت أحتاج إليه.

- إذن ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟

عادت إلى مكتبها وأخذت دفتر مذكرات وقلم رصاص.

قال:

- لنبدأ من البداية. لقد عشت دائما في بيت العائلة. أليس كذلك؟

- بالقطع.. عندما مات أبي غادرت الخالة "فيك" البيت الخاص بالضيوف عند نهاية المنتزه؛ حتى تسكن في الدار معي.

ابتسم لها "ويليام" أول ابتسامة حارة تراها "كاترين" على وجهه منذ وصوله. قال:

- الخالة "فيك" ولكنها على الأقل تبلغ مائة عام!

صححت له الشابة معلوماته.

www.rewity.com

- بل سبعين عاما. ولكن احتفظ بهذا السر في نفسك. ولكن لماذا تهتم إلى هذه الدرجة ببيتي؟

كانت وهي تحدثه تخط بيدها بعض الرسومات على دفتر المذكرات الموجود أمامها.

- حسب أقوال صاحب مكتبة "دارك ريفر" فإن جدك كان يملك أكبر مجموعة كاملة عن محفوظات البلدة.

- أعتقد أن هذا صحيح ولكني لم أقرأها أبدا. ولقد تزوج أحد المسؤولين بالمدينة إحدى فتيات "سان كلير" وعند إنشاء المكتبة البلدية العامة رفض أبي إعادة المحفوظات التي استولى عليها وكان يريد باستمرار أن يحكم قبضته على كل شيء كما تعلم.

- نعم.. أتذكر ذلك. كم كنت أود مراجعة المحفوظات يا "كاترين". هل هذا ممكن؟

توقفت من شدة الصدمة عن الرسم وسألته:

- ولكن ماذا تأمل أن تجده بحق السماء؟ كل الناس يحكون أن آل "دارك" الأوائل كانوا سجناء سابقين، وقد اتخذوا اسم النهر كاسم للأسرة، وفي كل مرة يثمل فيها أبي يقسم أنه لم يحدث ذلك. وأريد أن أثبت أن النهر هو الذي يحمل اسم العائلة، وليس العكس.

لقد كانت تراوده في أعماق ذهنه فكرة العودة إلى هذه البلدة.. العودة كرجل حر.. رجل أعمال غني وشهير. ورغم أنه لم يستطع أبدا مواجهة "كاترين" كما كان يأمل فقد ظلت تحدوه الرغبة في تحقيق تلك المواجهة. ومن هنا كان شعوره بالذنب.. إنه لن ينسى لحظات الوداع؛ ولهذا وجد كل الأسباب التي تجعل عودته مؤجلة. إلى أن اتصلت به الخالة "فيك"؛ لتخبره أن "كاترين" في حاجة له دون أن تعطيه أية تفاصيل واضحة، وإنما مجرد أن عليه أن يعود. وقد عاد؛ لأنه مدين لها بذلك على حد

اعتقاده. ومع ذلك كان مخدوعا. لقد عاد في الحقيقة من أجلها ولكنه سيبقى من أجل نفسه.

- أنا لا أفهمك يا "ويليام". الماضي هو الماضي ونحن.. وانت لن تغير منه شيئا!

- أتعشم أن تكوني مخطئة.. أمامك الآن رجل مصمم على النجاح. إنني بحاجة لأن أعرف إن كان جزء من "دارك ريفر" ملكي حقا!

- وماذا سيحدث لو تبين أنه لم يحدث شيء وأنك لا تملك شيئا؟

- الأمر بسيط.. سأشتريه.

www.rewity.com
مرموزية

الفصل الثاني

بعد رحيل "ويليام" خفضت الشابة عينيها نحو الورقة التي امتلأت بالأشكال غير المفهومة. تكررت على الورقة كلمة.. اذهب بالحبر الأسود وكانها تعاويذ تحميها من الوقوع في حبائل "ويليام". كورت الورقة، والقت بها في سلة المهملات، ثم اتجهت نحو النافذة. رأت "ويليام" يغادر العمارة، ويركب سيارته المكشوفة. إنه هو الذي كان يخشى سابقا جذب انتباه السكان، لا يمكن الآن أن يمر دون أن يلحظه أحد بمثل هذه السيارة الفاخرة.

كان "ويليام" قد تحدث فترة طويلة مع "مايك"، وهو ينصت بانتباه لإجابات الصبي الصغير ثم مرر يده في رقة في شعره. ابتسم "مايك" وهو ينظر في نفس الوقت إلى النافذة التي تطل "كاترين" منها. بدا كلاهما وكانهما يتشاركان في سر، وحتى على هذه المسافة البعيدة رأت الشابة مدى تالفهما وتشابههما.

نزعت "كاترين" أرض مكتبها لمدة عشر دقائق كاملة ثم أخذت الورقة التي كورتها ووضعتها في حقيبة يدها مع خطاب "ويليام". ثم غادرت مكتبها حيث كان عندها موعد مع عائلة "جايسي" على وجبة شرائح اللحم والبطاطس المقلية.

كان أول شخص نبهها إلى عودة "ويليام" هو صديقها القديم "جوهول" صاحب خان وفندق "دارك ريفر" وهي تعبر الشرفة حيث قال لها:

- مرحبا يا "كاترين". أتدرين أن "ويليام" عاد؟

- نعم.. لقد حضر إلى مكتبي هذا الصباح. ولكن كيف عرفت؟

- إنه يقيم هنا.

صمتت "كاترين" فترة ويدها على مسند المقعد الهزاز. القت نظرة مختلسة فيما حولها. ان تقابل "ويليام" مرة ثانية هو آخر ما كانت ترغبه.

- هنا؟

قال "جو" وهو يبتسم:

- لا تفزعي هكذا يا صغيرتي! إنه غير موجود هنا الآن. لقد غادر الخان من ساعة تقريبا. هل أنت بخير؟

- ياله من سؤال ساذج.. طبعا أنا بخير.

أدركت "كاترين" في رعب أنها أساءت إلى أعز أصدقائها.. إنها ليست في حالتها الطبيعية.

- إنك لن تخدعيني يا صغيرتي. تعالي ورائي خلف المكان. إنني ساضع شيئا ما من أجلك حتى يعود إليك مظهرك الرسمي.

تبعت "كاترين" "جو" دون احتجاج. بل كانت مسرورة؛ لأنه لم يطرح عليها أسئلة. ولكنه كان دائما لا يطرح أسئلة مكتفيا بأن يكون موجودا

www.rewity.com

عندما تحتاج إليه. إنه "چو" الضخم، المحبوب لاعب الكرة الذي ظل سنوات طويلة يقوم بدور الفارس الخادم، وكان يصحبها من حفل راقص إلى مصاحبتها للنزهة على ضفاف النهر حتى تقابل "ويليام"، ويختفي في الظل عندما يجلسان معا يثرثران هي و"ويليام". والآن هو على استعداد لحمايتها وهي تريد هذه الحماية.

أعد لها "كوكتيل" من عصير الفواكه، وناوله لها ونهلت منه جرعة كبيرة حتى أوشكت أن تختنق.

- إنه قوي بدرجة وحشية!

- أنت في حاجة إلى ما يرفع من روحك المعنوية.. هل أنا مخطئ؟ حسنا.. ما الذي كان يريده؟

- صدّق أو لا تصدق.. إنه يريد شراء "دارك ريفر".

- البلدة؟

- هذا ما قاله لي.

- حسب ما سمعته عنه إنه يستطيع ذلك.

- آه؟ ما الذي سمعته؟

احتست "كاترين" بعض "الكوكتيل" وشكرت "چو" في صمت على الراحة النفسية التي أعطاها لها.

- حسب أقوال الصحف فقد انضم إلى شلة الأثرياء المشهورين. إن لديه أعمالا في الاستثمارات المالية، وهو يعمل كوسيط وسمسار بين هؤلاء الذين يريدون استغلال ثرواتهم، وهؤلاء الذين لديهم مشروعات ناجحة، وهو يحصل على هامش ربح معتبر، وصدقيني في ذلك. إنه متخم بالثروة، وهو الآن يقوم بمشروع لاستخدام الطاقة المائية في "السعودية".

احتست جرعة أخرى وقالت:

- لا أصدق أنه عاد بعد كل تلك السنوات..

- البعض يرى ذلك أمرا طبيعيا.. كيف الحال مع قريبك الصغير؟

- "مايك"؟ ممتاز. ولكن هل تعرف أن الخالة "فيك" تحاول استئناس "جنكيز خان"!

- "كاكي"! ستقولين لي إن الأمر ليس من شأني ولكني أعتقد أننا صديقان حميمان بحيث أسمح لنفسي أن أقول لك ما أكتمه في قلبي.

- طبعا يا "چو".

- ربما أقنعت كل المدينة أن الطفل ليس سوى قريب بعيد.. أما أنا فمقتنع أنه قريب جدا لك. هل أنا مخطئ؟

- وهل الأمر ظاهر إلى هذه الدرجة؟

- نعم.. إنه يشبهك. إنه ابنك....

أحست "كاترين" لثانية واحدة أن قلبها توقف.

- هل كنت تعرف؟

- لنقل إنني افترضت ذلك. هل من أجل ذلك أتى "ويليام"؟

- لا.. إنه ليس على علم بأي شيء، ولا "مايك" يعرف أيضا. لم أقل له شيئا بعد. إنني أريده أن يحس بأنه في بيته قبل أن أخبره بالحقيقة. ثم.. إنني لم أعد أعرف بعد..

وصلت إلى أسماعهما ضحكات عائلة "جايسي" من البهو الرئيسي. كان فندق "چو" المكان الوحيد من نوعه في البلدة؛ لأن المجلس المحلي لمدينة "دارك ريفر" كان يدافع بحماس عن المدينة الصغيرة من كل التجارات الخارجية، ويحافظ على ثروتها.

كانت "كاترين" تعرف أن العمدة يجب ألا يصل متأخرا؛ فقررت الذهاب إلى قاعة الطعام. وعندما عادت إلى شقتها بعد ساعتين بدأت تفكر في "چو". يا للعزيز "چو"! لماذا لم تقع في حبه هو منذ عشر

www.rewity.com

سنوات؟ ولماذا لم تعد تفكر فيه الآن؟ إنها تعلم مع ذلك انه يحبها حبا جما، وان زواجها منه كان سيباركه والدها الرهيب. ابتسمت. إن والدها لم يوافق ابدا على فكرة أن "ويليام" يمكن أن ينجح وأن الأمر سينتهي بـ"جو" إلى ملكية الخان والفندق. وكانت هذه نقطة سيئة بالنسبة لحكمه على الامور والذي كان يعتبر نفسه ثاقب النظر لا تخيب أحكامه، ولسوء الحظ مات "سام سانكلير" ولايزال سوء ظنه عن "ويليام" قائما.

كانت وظيفة العمدة بالنسبة لـ "كاترين" لاتشغلها سوى جزئيا. فهي عندما تعود إلى بيتها ترغب في إلقاء نظرة على بعض الملفات ولكنها سرعان ما تتخلى عن الفكرة مفضلة عليها أن تلعب دورا من لعبة الورق مع "مايك". ثم حاولت أن تنال غفوة ولكنها لم تستطع أن تغمض عينيها دقيقة. وأخيرا استسلمت لكل محاولات شغل بالها وأخذت دشا جيدا وهبطت لتلحق بالخالة "فيك". ولكن الأخيرة كانت صامتة بطريقة مريبة وهي تذرع المطبخ في كل الاتجاهات، وكان من الواضح أنها مشغولة بافكارها الخاصة وهي تعد العشاء.

كان من الممكن أن تسأل "كاترين" خالتها حول صمتها المريب ولكنها هي الأخرى كانت مشغولة بافكارها. وبينما هي تعد المائدة تساءلت ما إذا كان عليها أن تقص على خالتها لقاءها مع "ويليام" أم لا. إنها لا تعرف كيف تبرر المخاوف التي تحسها من أن تكشف الحقيقة أمام هذا الرجل. ثم أخيرا قالت:

- لقد حضر "ويليام" لمقابلتي في المكتب. إنه يريد استخدام مكتبتنا من أجل ابحاث غامضة.. هذا هو سبب عودته.

- نعم.. لقد اخبرني "مايك" بذلك. بماذا أجبته؟

- لا شيء. من الواضح انه يعرف ما يبحث عنه وربما كلما أسرع بالعثور عليه كان هذا أفضل حتى يرحل.

- فعلا.

- أفترض إذن أن من الأفضل أن أمنحه التصريح. ساقوم بالاتصال به.

- ليس هذا ضروريا يا عزيزتي. لقد كنت أعرف انك ستقولين هذا وسيكون هنا خلال دقيقة.

أفلتت السكين من يد "كاترين سانكلير" والتي كانت تستعد لوضعها على المائدة. حدجت خالتها في ذهول والتي تظاهرت بالانهماك أمام الموقد.

- ماذا يعني انه سيكون هنا خلال دقيقة؟

- لقد قلت له إنك ربما ستعرضين عليه بيت الضيافة. إنه يحتاج إلى تهوية. هذا كل ما هناك! ثم إن هذه طريقة جيدة حتى يتعارف هو و"مايك".

- ولكني لا أريد أن يتعارفا! هل تتصورين ما يمكن أن يحدث لو أراد استرداد ابنه؟

كانت الخالة "فيك" لا تفعل إلا ما يرسخ في عقلها وما فعلته من عرض بيت الضيافة دون موافقتها امر لا يصدق حقا.

- انا آسفة لأنني اغضبتك يا "كاترين". عندما اتصل بعد ظهر اليوم وشرح ما ينوي أن يفعله لم أجد الشجاعة أن أقول له لا. إن "مايك" هو القريب الوحيد عنده الآن. و"ويليام" في حاجة إلى عائلة.

- هذا إذن السبب في انه يحلم بالقمر بقصته عن "دارك ريفر"... هل أنت واثقة انه ليس هنا من أجل "مايك"؟

- مؤكد تماما يا عزيزتي.

أحست الشابة بالخوف يقبض قلبها، نظرت إلى خالتها في إمعان.

- وما الذي يجعلك تعرفين ذلك؟

www.rewity.com

- لانني.. لانني انا التي اخطرت "ويليام". انا لم اقل له شيئا مهما، واقسم لك على ذلك. كل ما قلته له إن الوقت حان بالنسبة له للعودة إلى "دارك ريفر". في الحقيقة..

- في الحقيقة ماذا؟ انت تسببين لي رعبا.

- اؤكد لك يا "كاترين": إنه لا يعرف شيئا عن "مايك". وانت حرة الآن.. كل ما قلته له إنك في حاجة إليه. انت كنت دائما محتاجة إليه وستظلين محتاجة إليه دائما.

هذه المرة افلتت الشوكة من يدها وسقطت على الأرض في فرقعة عالية وقالت:

- لدينا على العشاء لحم مشوي بالصلصة مع ذرة مقلية وبسلة.

انتهزت "فيكتوريا" اضطراب الشابة، واخذت ملعقة من الصلصة، ونفخت فيها لتبردها ثم ذاقتها.

- إنه ينقصها بعض الملح.

- انت التي بحثت عن "ويليام"؟ وانا التي لم تعرف ابدا اين رحل.. كيف فعلت ذلك؟

- إن الأمر في متناول اي يد وأي شخص. إن اسمه مكتوب تقريبا يوميا في إحدى الصحف. وقد ساعدني في ذلك "جو".

وجدت "كاترين" أن من الصعب أن تصدق ما تسمعه. لقد كان مكانه معروفا للجميع. لقد قضت وقتا طويلا تبحث دون نتيجة والآن وقد كفت عن البحث أصبح الأمر في منتهى البساطة. بعد أن عاشت سنوات بدون طفلها ومحرومة من الرجل الذي تحبه. يهبط الاثنان مرة ثانية على حياتها! لقد كان "مايك" هدية رائعة من القدر.. فرصة ثانية للحياة. ولكن "ويليام"؟ إنها لم تعد تعرف كيف تفكر. قالت لخالتها:

- لقد اخذ عشر سنوات ليعود يا خالتي "فيك" وهو لم يفعل ذلك من

نفسه.. أنت التي اتصلت وهو الذي يرد. لماذا؟ ما الذي قلته له بالضبط؟

- بالضبط.. انت في حاجة إلى المساعدة.

- ولكني لست في حاجة إلى مساعدته! والآن بالذات، ولا أريد أن يعرف أي شيء عن موضوع "مايك". إنني لن ادعه يتدخل في مشروعاتي. اين "مايك"؟

كانت "كاترين" تدرك انها تتصرف تصرفا سيئا للغاية ولكنها لا تستطيع التحكم في ردود افعالها.

- إن "مايك" ياخذ حمامه.. إن "ويليام" مثله مثل اي مخلوق بشري يحترم نفسه. لن يرغب في الفراق بينه وبين ابنه. ما لم تكن تلك الفكرة قد ارعبتك؟

- انا لم افكر في شيء آخر منذ تلقيت رسالته الصغيرة ولكن ليس لدي اي رد. هل تعتقدين أن الجلوس على مائدة مع "ويليام" هو الذي سيساعدني؟ عليك أن تعتذري له يا خالتي "فيك" وانا راحلة.

ركلت "كاترين" في ثورة غضبها الشوكة الملقاة على الأرضية بقدمها ثم اتجهت بخطوات حاسمة نحو باب الحديقة.

كان من الممكن أن يحقق خروجها هدفه لو انها فعلته قبل ذلك بخمس دقائق، وقبل أن يمر "ويليام" بطريقة الرجل المهذب من الباب الرئيسي للقصر الريفي.

صاح "مايك" وهو يجري خلف أمه:

- مساء الخير يا سيد "دارك".. ادخل.. إنه منزل رائع.. اليس كذلك؟

- فعلا يا "مايك" ولقد تاثرت كثيرا به إنه يشبه قصر "سوثفورك" وقد نقل إلى جنوب "جورجيا".

ظلت "كاترين" مسمرة في مكانها وقد تعلق ذراعاها بجوارها وفغرت فمها على آخره. صاحت الخالة "فيك" من المطبخ:

www.rewity.com

- اعتقد ان بيتك ليس اقل فخامة على ما اعتقد.. ادخل يا "ويليام". هل تعتقد ان هذا القصر يشبه "سوثفورك"؟ ومع ذلك فإنه ينقصه مخازن الغلال، وطاهية، وخادمة تصنع كل شيء.. ليس لديّ سوى خادمة منازل مسكينة تاتينا مرتين في الاسبوع لمساعدتي. ضع هذه الشوكة يا "مايك" على المائدة من فضلك.

قال "ويليام":

- انا اسف يا "كاترين". أرى انك لا تنتظريني هل تحبين ان أرحل؟

- لا.ادخل فقد دعتك الخالة "فيك" أما ما اظنه فلا أهمية له.

نظرت إليه في غيظ وهو واقف هناك في الظل. كان مزاجها عكرا وشرسا ولكنها لا تستطيع ان تفعل حيال ذلك شيئا. وعندما هم "ويليام" بالدخول أحست "كاترين" بعضلات معدتها تتقلص. لقد بدل صديقها بذلته ذات القطع الثلاث بالجينز وقميص بولو.

كان "ويليام" في مكتبه رجل اعمال مرموقا وغنيا وشهيرا. هذا المساء وهو يرتدي هكذا وقد أسند ظهره على إطار الباب وعقد ذراعيه على صدره وعلى وجهه تعبير التحدي يشبه ابنها. لم يسبق ابدا أن سمح لـ"ويليام" بالدخول إلى الدار ورغم انه لم يشكّ من ذلك ابدا كانت "كاترين" تعرف انه كان حانقا اكثر مما يبدو عليه. قال برقة:

- إن رأيك هو الوحيد الذي يهمني.

- ادخل يا "ويليام" ومرحبا بك.

- اعرف أن هذا غير صحيح ولكني اتعشم أن تظني انه مرحب بي في يوم ما حقا.

- اوه يا سيدي. إن الخالة "فيك" اعدت حساء بالموز والطماطم. وهي لديها بالأخص لعبة فيديو جديدة. إنه مكان مسل جدا للشباب من امثالنا. أليس كذلك؟

كررت "كاترين" وهي مسلوبة الذهن:

- الشباب؟

- لقد اخبرتني الخالة "فيك" أن السيد "دارك" سيبقى عدة أيام هنا... إنه خبر ممتع.

لم تستطع "كاترين" أن تتصور دارها مكانا للتسلية واللعب ولكنها بدأت تنظر للموضوع نظرة أخرى. إن حياتها في هذه الدار بعد موت أمها جعلتها تفهم مدى وحدة "ويليام" في حياته. وحتى وفاة والدها لم تعرف سوى النظام والعقاب ولحسن حظها جاء وصول خالتها لتعالج ذلك.

كانت الخالة "فيك" تقدر دائما "ويليام" ولم تخف ذلك. وعندما صحبت "كاترين" إلى المتحف ومدينة الملاهي والأوبرا، كانت تصحب ذلك الصبي المحروم. طبعا كان والد "كاترين" يجهل كل مواعيدهما الخفية والمتسللة ولو ألقى أسئلة على الخالة "فيك" كان من الممكن أن تجيب عليها ولكنه لم يطرح اية أسئلة. وطالما كانت الابنة تشرف الاسم الذي تحمله فهو راض.

وعندما كبرا فهم "ويليام" انه يشكل تهديدا للصورة التي رسمها الأب لابنته. وكانت تجادل والدها بان الشاب يحافظ على سمعتها ولكن معاملة والدها له كانت مؤلمة.

وأحيانا كان "ويليام" يثور على سمعته السيئة وفي يوم امتحان الكيمياء مثلا اتهم بانه يحوز مخدرات في بيته. ولم يصدق الجميع أن بعضهم وضعها له حتى يجرمه. وأحداث كثيرة أخرى مماثلة وقعت له وكانت غير لائقة. وقد اخفاها عن "كاترين" ولكنها عرفتها عن طريق الشلة. لقد اعتقدت "كاترين" دائما في "ويليام" وكانت تثق به وهو في حاجة لتلك الثقة. كان يعيش مثل المنبوذ في شقة صغيرة على شكل

www.rewity.com

استوديو في ضاحية "سافاناه".

وهكذا تمت صداقتهما السرية وكذلك حبهما بعد ذلك. لم يعرف أحد عن ذلك شيئا ما عدا "چو" والخالة "فيك". وأدركت "كاترين" فيما بعد أن إخفاءهما لعاطفتهما عن بقية الناس زادت من عمقها، وأصبحت متفجرة ورائعة ومأساة.

والآن وقد عاد "ويليام" ظهرت العواطف على السطح ولكن هذه المرة لن تغرق "كاترين" في سحر "ويليام". إنها هي التي ستختار وليس هو. لم تعد "كاترين سانكلير" مذعورة على الإطلاق.

- لا اعتقد يا "ويليام" أن هذه ستكون فكرة رائعة، ولا أعتقد أنه من صالح "مايك" أن تكون موجودا هنا. لقد تعلق بك عاطفيا وهو ضعيف وهش في هذه اللحظة. ولا أريد له بعد فقده لوالديه الاعتماد عليك.

همس "ويليام":

- انا متفق معك في هذا. وأعدك ألا أفعل ابدا ما يسبب لك ولا لـ"مايك" أي ألم أو أذى. وأن كل شيء يعتمد عليك.

- اتمنى أن أتاكد من ذلك. موافقة واسمح لك بالإقامة هنا شهرا من أجل أبحاثك ولكن بشرط.

- ما هو؟

- أن يكون هذا الاتفاق مهنيا بحتا بحكم الوظيفة وليس فيه أي شيء شخصي.

- هل انت واثقة من ذلك؟

- تمام الثقة.

دهشت "كاترين" وهي ترى العشاء يسير بطريقة مقبولة وقد تولت الخالة "فيك" و"ويليام" دفة الحديث ولم يدهش "ويليام" وهو يعلم أن الخالة "فيك" تمارس العاب "الفيديو جيمز" وانها تحتفظ بمجموعة

كبيرة في مكتبها، ولكن الشاب رفض دعوتها للذهاب معها هي و"فيك" للعب بعد انتهاء غسل المواعين.

ورغم أن "كاترين" سمحت له بالدخول إلى مكتبتها؛ فلم تتعود على فكرة أن يقيم في بيتها. لقد أحست بغصة قلق في حلقها مما جعلها تشعر بالضعف. حتى بعيدا عن وجود "مايك" فإن علاقتهما الآن أصبحت مختلفة. وبدون وجود ثقة لا محل للصداقة. ومنذ اللحظة التي دخل فيها المنزل فإن كل حديث كان يدور بينهما كان يذكرها بعلاقتهما، وكان عقلها يرفض طاعتها في الاستسلام للعاطفة المكبوتة بداخلها. لقد كان الوقت مبكرا جدا.. جدا على التفكير في ذلك. لابد أن تسيطر علي مشاعرها. وعلى الجانب الآخر من المائدة كان "ويليام" يسأل "مايك" عن دراسته:

- هل أنت تلميذ جيد؟

- أوه.. إنني لا أحب المدرسة كثيرا.

اعترف "ويليام":

- ولا انا كذلك كنت احبها.

علقت الخالة "فيك":

- لست أفهم فقد كنت تلميذا ممتازا، واتذكر مرة ونحن في متحف ما قبل التاريخ استطعت أن تتعرف على كل حيوان من حقبة ما قبل التاريخ.

قال "مايك" في حماس:

- مثل أبي. لقد كان ذكيا بدرجة رهيبة ولكنه لم يكن يهتم بالشهادات. لم يكن يؤمن أنني ساكون من المفكرين. أما "كاترين" فهي تفكر مثل أمي.

قالت الشابة بابتسامة باهتة:

www.rewity.com

- إنني لا أريد إلا مصلحتك.

أخذ "مايك" يشرح لـ"ويليام":

- لقد مات أبي وأمي في حادث سيارة. إنهما لم يكونا والديّ الحقيقيين.. لقد.. لقد تبنياني. إن أمي الحقيقية لم تستطع الاهتمام بي. لقد حضرت إلى بيت "كاترين" عندما مرضت جدتي وقد أخبرني القاضي أنها كانت صديقة لأمي. وقد جاءت هناك وأحضرتني إلى هنا.

بدت "كاترين" مصعوقة ووجهها شاحب كالشمع.

- لقد كنت أجهل أنك طفل متبنى. لماذا لم تخبرني بذلك؟

- لقد أخبرتني أمي أن هذا سر بيني وبينها، وقد خشيت أن تطردني هي أيضا.

سألته الخالة "فيك" في رقة:

- وكيف عرفت هذا السر؟

- لقد عرفته وأنا صغير جدا.. أنت تعرفين أن جدتي قالت إنه يجب علي أن أكون لطيفا مع "كاترين"، وأنا أحب أن أكون هنا حقا.

هذه المرة أسقط "ويليام" فوطة المائدة من بين يديه بينما أخذت الخالة "فيك" الطفل على ركبتيها وقالت له:

- إن والديك يا "مايك" كانا يحبانك كثيرا. وأحب بكل خلايا جسدي ذلك وأحب أن تقتنع أنت بذلك أيضا.

كان على "كاترين" أن تغادر المائدة كالمخدرة. ثم ذهبت إلى الفناء ومنه خرجت إلى الحديقة كان عليها أن تتوقع أن "ويليام" سيتبعها. لقد كان دائما موجودا هناك إلا في مرة واحدة ولكن بسببه أحست بأن جزءا منها ذهب. ما الذي سيقوله "مايك" عندما يعرف أنها هجرته. وصل إلى أسماعها من المطبخ صوت الخالة "فيك" رقيقا هادئا ومهدهدا وهي تناغي "مايك" تماما كما كانت تفعل معها عندما كانت صغيرة. لقد

كان عليها هي أن تهدهد "مايك"، ولكن بدلا من ذلك ها هي تواجه "ويليام". لم يعد الوقت وقت أسرار والآن عليها أن تصارحه بالحقيقة.

على أية حال لن يتأخر "ويليام" في معرفة ما حدث إن لم يكن قد فعل ذلك بالفعل. وربما جاء لينتقم. قال:

- أنت أم "مايك" الحقيقية. أليس كذلك؟

- نعم.

همهم:

- لست أفهم شيئا.

لقد كانت "كاترين" قوية وليس من عادتها أن تظهر مشاعرها وعواطفها ولكنها أحست بأنها غارقة في آلام وعذابات ولم تستطع الإجابة. إن ذلك يؤلمها بشدة. وبعد فترة صمت طويلة وثقيلة استأنف "ويليام" حديثه:

- هل "مايك" ابني؟

أخيرا طرح السؤال. وهي لن تكذب. هزت رأسها. أطلق "ويليام" وهو خلفها زفرة. ثم ران الصمت بينهما طويلا ومؤلما.

- لماذا.. ولماذا بحق السماء تخليت عن ابنك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تتمكن من الإجابة إنها لا تريد أن تنفجر، وأن تطلق العنان لثورة غضبها، وألا تدع الخوف يتصاعد ويسيطر عليها، وألا تفلت منها هواجس السنوات الطوال في شكوى تمزق القلوب. هل ستقول له إنه هو السبب وأنها بسببه اتخذت ذلك القرار الرهيب. آه فقط لو كان موجودا وقتها.

- كيف يمكن أن تسألني عن ذلك؟ أين كنت عندما كنت في حاجة إليك؟ لماذا لم تحضر الليلة التالية لحصولنا على البكالوريا يا "ويليام"؟

قال بصوت متقطع ومخنوق:

www.rewity.com

- لم أستطع.. لقد حدث لي أمر ما. لقد أردت أن أكون حاضرا ولكن لم يكن لدي حرية الاختيار.

- تماما مثلي يا "ويليام".

- احكي لي عما حدث. عبري لي.. لقد كنت أستطيع أن أتقبل عملية إجهاض.. لم أكن ساحب ذلك، ولكني كنت سأتفهم الأمر.

- إجهاض؟ هل تظن أنني كنت أستطيع أن أفكر فيه لحظة واحدة. إن الطفل طفلنا يا "ويليام" إجهاض؟ يالله!

رد عليها بقسوة:

- وهل كان الإجهاض أسوأ مما فعلته؟

ندم على ما قاله؛ لأنه كان يعلم أن الأمر كله غلطته. ولكن الماضي يظل هو الماضي ولا يستطيع أن يغيره والمهم الآن هو معرفة دوافع "كاترين" الخفية. قالت:

- لقد كنت في السابعة عشرة من عمري وكنت أخاف من أبي. وكنت أجهل مكانك. لقد فكرت في أنك هجرتني. لقد كنت وحيدة.. ولكن لا شك أنك لا تفهم هذا.

- بل أفهم ذلك يا "كاترين". وأحسن مما تظنين. لقد عشت مع ذلك الشعور بالوحدة طوال الليالي من وقتها. لقد كان من المفروض أن أكون موجودا هنا من أجلك. لقد كان عليّ أن أفعل ذلك ولكني كنت أجهل كل شيء. لقد عانى كلانا من أخطائنا ومن حسن حظك أن كان معك الخالة "فيك".

- نعم. ولكنك كان عندك والدك. لماذا هجرته دون أن يعرف أين يعثر عليك؟

- إنه لم يطلب مني ذلك. إنه لم يهتم بالأمر لقد حول حياتي إلى جحيم

- هذا ما كان سيفعله أبي مع "مايك". أنا أعشق هذا الطفل لدرجة تمنعني من حمله إلى بيت أبي. إن الطفل يحتاج إلى أب وأم. وكنت أريد من ابننا أن يشذ عن هذه القاعدة وأن تكون له أسرة حقيقية ودار خاصة.

فزع "ويليام" وهو يسمع هذه الكلمات:

- إذن أنت لم تدعيه لأسرة أخرى لأنك لم تحبيه؟

- أوه يا "ويليام"! طبعا لا. لقد عرضته للتبني من شدة حبي له..

كانت تحس بالاضطراب.. وارتاحت لأنها كانت في العتمة. إنها لم تكن واثقة من تحملها لنظرة الاتهام منه. كيف يمكنهما أن يقولا تبريرا لأفعالهما؟ لقد كان "ويليام" في نهاية الأمر الشخص الذي لم يحضر في موعد لقائهما لتعلنه بحملها، لقد كان "ويليام" هو الذي اختفى دون كلمة، لقد حان دوره ليشرح. سألته:

- أين كنت؟ لماذا إذن لم تحضر لموعدنا؟ إنني في حاجة لأن اعرف.

- موافق.. وإن لم يعد لذلك الأمر أهمية. لقد تلقيت مكالمة من صديق في "بروكسي كونتري". لقد كان عليّ أن أساعده.

- صديق؟ ما هذه القصة؟

- لقد كان شخصا أعرفه، وكنت أطلب منه المعروف كثيرا. لقد كانت سيارته معطلة، وطلب مني الذهاب إليها وإصلاحها وإعادتها. وقبض عليّ رجال شرطة "بروكسي"، واتهموني بسرقة السيارة، والقوا بي في السجن دون حتى أن يسمحوا لي بمخابرة تليفونية.

- هل كنت في السجن؟

- لقد حجزوني ثلاثة أيام قبل أن يطلقوا سراحي، وكنت أفضل أن أقضي ثلاث سنوات في السجن على أن أقابلك بعد تلك الحادثة.

- ولكنك يا "ويليام" لم تكن لصا، ولم تكن تتجاوز سن السابعة عشرة،

www.rewity.com

وكانت هذه غلطة.

- لقد كنت كبيرا بما يجعلهم يعاملوني كبالغ. لقد اضيفت صفة اللص إلى حماقاتي الأخرى التي ارتكبتها، وكان هذا أكثر مما يمكنني تحمله.

- لست افهمك. لماذا لم تتصل بي تليفونيا؟

- لقد فعلت. ولكن أباك لم يسمح لي بمحادثتك. وقد اتصلت بأبي ولكنه لم يكن موجودا. وكان عليّ أن أتصرف بمفردي. إنهم لم يتركوا لي أي فرصة للاختيار: إما أن أغادر المدينة أو أدخل السجن.

- إذن فضلت الرحيل.

- نعم.. لقد ظننت أنه ليس لدي أي اختيار آخر.

- ولكن كان بإمكانك العودة بعد ذلك. لقد مرت عشر سنوات يا "ويليام"!

- لقد عدت بعد فترة ولكنك كنت قد رحلت.. لقد توقع هو كل ذلك؟

- هو؟

لم يجب "ويليام" في الحال وإنما بعد فترة:

- أبوك.

- أبي؟

فجأة فهمت:

- أوه يا "ويليام". هل كان أبي هو أصل كل هذا؟ لقد كان يعلم كم كنت احبك وقد أبعدك... إنه لأمر رهيب.

- لم تكن الغلطة كلها بسببه يا "كاترين" في الحقيقة أنا الذي جعلته يفعل ذلك لقد أدركت في النهاية أنني لست الشاب الصالح لك، وأنه ليس عندي شيء اقدمه لك. ولم يكن أمامي إلا أن أختفي على الأقل إلى أن أنجح.

- هذا ليس عدلا.. أنا كنت أعرف قيمتك.

- لا.. أنت كنت ترين فقط ما تريدين أن تريه. وأنا لم أكن فخورا بما كنت عليه وقتها. لقد سمحت لوالدك أن يدفع لي مصروفات دراستي. لقد أردت أن أنجح من أجل المرأة التي كنت أحبها والطفل الذي كنت أجهل عنه كل شيء. وخلال كل تلك السنوات كنت أشعر بالعار من مواجهتك.

لم يعد هناك ما يقال. لقد أحست "كاترين" هي الأخرى بنفس العاطفة بالعار والذنب. لقد عاشت مع ذلك الشعور. وخلال عشر سنوات اعتقدت أن "ويليام" هجرها. والآن تعرف أن والدها هو الذي أجبره على الرحيل.

- أنا آسف حقا يا "كاترين". ما الذي كان يمكن أن يحدث لو حضرت في تلك الأمسية؟

- لقد كنت ساخبرك بأنني حامل.

رد عليها دون أن يظهر عليه أي انفعال:

- وماذا بعد ذلك؟ هل كنا سنتزوج؟

- هذا ما كنت اتمناه أكثر من أي شيء في الدنيا.

- لم يكن هذا الأمر سيفلح. لم أكن وقتها سوى طفل لا يكاد يعنى بنفسه. كيف كان باستطاعتنا أن نعيش؟ لقد كان والدك والمدينة ستنبذنا.

- نعم. لقد فهمت ذلك.

- ماذا فعلت حتى تلدي هذا الطفل بمفردك؟

- لم أكن بمفردي. كانت معي الخالة "فيك". وعندما أدركت أخيرا أنك لن تعود رحلنا أنا وهي إلى أوروبا، وعندما علّمت الخالة "فيك" أنني حامل عدنا في الوقت المناسب لجعل الطفل متبنى. لقد ترك القاضي لي حرية اختيار الوالدين. ثم رحلت حتى الد "مايك".

www.rewity.com

- وهل كرهته؟

- كرهته؟ نعم لبعض الوقت. ثم عندما رأيته يتحرك ويصرخ.. أوه يا "ويليام".. لقد أخذوه. إنني حتى لم أستطع أن أحتضنه بين ذراعي. ثم عدت إلى الجامعة، ولم يعرف أحد عنه شيئا.

كان صوت "كاترين" بلا نغمة وهي تتعمد ذلك حتى لا تسبب عذابا لـ"ويليام". لقد فهم الرجل كم من الحب والرقة استلزمها الأمر حتى تخفي هذا الجحيم. صعدت الدموع إلى ماقيه، وعرف أن معاناته الخاصة لا تقارن بمعاناة "كاترين". ود لو قال لها كم هو آسف ولكنه لم يستطع. لقد حاولت هي أن تكون قوية؛ حتى لا تظهر على أي منهما أي علاقة عاطفية وإلا انهارا.

- هل كان والداه بالتبني أشخاصا طيبين؟

اضطرت نفسها إلى الرد:

- نعم. لقد كان الاختبار أصعب اختبار فعلته في حياتي. لقد أردت بكل كياني أن يحظى ابننا بوالدين فوق مستوى الشبهات وممتلئين بالحب ويمنحانه نوع الحياة التي لم ننلها.

- نعم.

- لقد كان الرجل يمتلك حانوتا، وكان مستقرا في حياته، وزوجته كانت مدرسة وتعرف دون شك كيف تربي طفلا. وقد عرفت كل شيء عنهما عدا اسميهما وعنوانهما.

اختفى القمر فجأة خلف السحاب وبدت الحديقة غارقة في ضوء فضي باهت. أخيرا استطاع "ويليام" أن يرى وجهها وشعرها الباهت تحت ضوء القمر المحتجب. اقترب منها ولكنها ابتعدت بالغريزة.

عرف "ويليام" أخيرا لماذا اتصلت به الخالة "فيك". لقد ظهر له الماضي بكل حقائقه التي لا تجلب سوى الغضب والإحباط. لقد بذلت "كاترين"

أقصى ما لديها من أجل مصلحة "مايك" وقد اضطرت إلى اتخاذ ذلك القرار وقتها وهو إخباره بأنه قد أصبح أبا وصار له ابن.. وأن "مايك" هو ابنه.

لقد أخرجت "كاترين" وهي المرأة التي أحبها في الدنيا طفلا.. طفله هو في السر ولوحدها. رأى في عينيها بحرا من الشك والريبة وفهم كيف تعذبت، وبدلا من أن يطلب منها تفسيرا كان من الواجب عليه أن يساندها ويؤمنها.

- هل كانت الخالة "فيك" تعلم أنني الأب؟

- إنها لم تسألني أبدا عن ذلك، وأنا لم أحدثها أبدا، وأعتقد أنها كانت دائما تعرف الحقيقة. أوه يا "ويليام". لقد كان من الممكن أن أجد السلام مع نفسي لو سمحوا لي برؤيتك ولو مرة واحدة.

كتمت شهقة بكاء ونكست رأسها؛ حتى لا ترى نظرة التعاطف الشديد في عينيه.

- كان من الواجب علي أن أكون موجودا عندما كنت في أشد الحاجة إليّ. ولكن الأوان لم يفت بعد. أنا الآن موجود، وسأبقى بجوارك أنت وابننا أطول وقت ممكن.

بدا كل شيء رائعا في عيني "كاترين" التي أغمضت عينيها لحظات وهي تحاول تحليل القلق الذي أحسته في صوت "ويليام". أحست بيده تربت على شعرها وكتفها. ثم فجأة صفعتها كلماته في وجهها فرددت متسائلة:

- أطول وقت ممكن؟ ماذا تقصد؟

همس وهو يحاول أن يكون صادقا قدر المستطاع:

- أوه.. حسنا.. أنا مشغول جدا يا "كاترين". إن عملي يضطرني إلى السفر عبر العالم معظم الوقت، ولابد أن أكون في "المملكة السعودية" في

www.rewity.com

الشهر القادم، وفي "البرازيل" في الشهر الذي يليه ولكني ساعود وهذا وعد مني.

توترت وانكمشت على نفسها:

- فهمت.. إنك ستكون جزءا من حياتنا من حين لآخر حسب هواك.

ابتعدت "كاترين" عنه بعنف والقت براسها للخلف وسالته:

- هل هذا كل ما تستطيع أن تقدمه لنا؟

امسك "ويليام" بيدها برقة:

- لقد حدث كل شيء بسرعة رهيبة. وأنا هنا لانك بحاجة إليّ. ولكن الحقيقة هي انني متعب من الشرود والضياع ومن كوني وحيدا تائها.

لمع القمر مرة ثانية وسط النجوم. إنها لا تستطيع أن تتجاهل العاطفة الواضحة في عينيه، إنها عاطفة مشوبة بالالم وهو ما أعاد ذاكرتها إلى ضفاف النهر من وقت طويل. إنها لا تريد هذه الذكرى. إنها لا تريد أن تغرق. إن عاطفتهما المتبادلة ليست مهمة الآن.

قال:

- ربما نستطيع الزواج وإخبار "مايك" بالحقيقة!

الفصل الثالث

كان الصمت يسود الحديقة، واختفى القمر خلف سحابة. كتمت "كاترين" رجفة ثم أخذت نفسا عميقا محاولة أن تستعيد ذاتها. اجتاحتها رغبة مجنونة في أن تقترب منه، وتلتصق به، وأن تصدق ما يقوله. قالت وهي تشد قامتها:

- لا يا "ويليام". ليس الأمر بهذه البساطة. إننا لا نستطيع استعادة حياتينا من حيث تركناهما. ليس أمامنا سوى شيء واحد نفعله: أن نقرر ما هو أفضل بالنسبة لـ"مايك".

- ولكني افكر في "مايك" فعلا. لقد فقد الشخصين اللذين يحبهما ويحبانه ولكنه يجهل أن والديه الحقيقيين كانا صبيين في السابعة عشرة من عمرهما، ويتبادلان الحب بجنون، وكانا صغيرين في السن لدرجة لا يفهمان معها ما يحدث لهما. لقد كبرنا الآن يا "كاتي" ولديّ نية الاحتفاظ به.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

- إن "مايك" هو ابني من الناحية القانونية.

- أوه.. فهمت.

أحس "ويليام" بانه مرفوض بوحشية عند سماعه تلك الإجابة الباردة. استدار ثم خطا بضع خطوات في الحديقة. كان عليه أن يعترف بانه جرح بوحشية؛ لأن "كاترين" جعلته يعيش جاهلا بابوته. لقد كان بإمكانه أن يفهم أنها لم تستطع الاتصال به وقت الولادة ولكن ماذا بعد ذلك؟ كان بإمكانها أن تعرف مدى الأهمية القصوى التي يضعها في معرفته انه أصبح أبا لـ"مايك"! أحس بانه مرفوض مرتين وهو يفكر فجأة: إنها عندما تلقت رسالة القاضي لم تفكر أبدا في إخباره.

تاوه قائلا:

- لا.. إنه ابننا.

كررت كصدى الصوت:

- ابننا.

غيرت تلك الكلمات كل شيء. أصبح كل شيء واضحا. لقد أصبح في مقدورها أخيرا أن تقول له الحقيقة.

- نعم. "مايك" هو ابني لأنني أمه. إنه جزء مني. جزء انتزعوه مني. ولكنه أيضا ابنك.

انهار الجدار الأخير وسالت الدموع على خديها.

- أوه يا "ويليام" انا آسفة حقا من أجلنا نحن أنا وانت. لقد فقدنا أحسن ما لدينا.

استدار "ويليام". إنه لا يستطيع أن يرى وجهها في العتمة. ولكنه لم يكن في حاجة إلى ذلك. لقد عاش من قبل مع دموعها والامها القلبية. إنه يحيا تلك الآلام مرة ثانية.

- أنا ايضا يا "كاترين" كان من الواجب عليّ أن أكون موجودا إلى

جانبك كما أنا الآن.

- ولكم من الوقت؟

- لا أستطيع الإجابة عليك. لقد عشت ليلا ونهارا أعمل حتى أصبح ما أنا عليه. هل تفهمين؟

إنني لا أستطيع التخلي عن كل شيء هكذا.

- إنني أفهم ذلك وفي نفس الوقت أريدك هنا وهذا يخيفني. إنني لا أستطيع أن أتصور بعد الآن أن أحبك مرة ثانية وأن تهجرني.. و"مايك".. ما هو مكانه في كل ذلك؟

- كم أود يا "كاترين" أن أقسم لك أنني لا أستطيع أن أتركك أبدا ولكني لا أستطيع. أنا لا أستطيع أن أعدك الا أجعلك تعانين أبدا. هل ستسمحين لي أن أعلن "مايك" بانني والده؟

كان يتحدث بصوت متقطع. ردت عليه:

- إن هذا لا يعتمد إلا عليك يا "ويليام". وبعد أن يعرف أنني أمه.

- متى ستخبرينه؟

- لست أدري. عندما يصبح مستعدا. إن "مايك" صبي صغير ومحبوب ولكنه لايزال مضطربا. ولست واثقة من أن وجودك هنا فكرة طيبة خاصة وانك لا تنوي البقاء.

تاوه "ويليام" وأحس بانه يتحطم. منذ كل تلك السنوات البعيدة عنها لم يفكر في امرأة غيرها ولايزال يحبها بطريقة لا شعورية ويصعد درجات المجتمع من أجلها ويراها في كل امرأة يلتقي بها. إنه لا يستطيع التصرف بطريقة غير منطقية. لقد كانت مهمة له اقترب منها وصارحها بعواطفه.

ارتجف هو وارتجفت هي وقال:

- أعتقد أن وجودي هنا شيء طيب. إنني أعتقد أنني أحبك دائما ولا

www.rewity.com

اتحمل أن افقدك ثانية ولا أفقد "مايك" أيضا.

- لا يا "ويليام"! لا تلعب على هذا الوتر. إن حبنا ينتمي إلى الماضي، وانا لست مشغولة إلا بـ"مايك"، ونحن لا نقدر ذلك ولن اسمح لك بان تفعل ذلك حتى لو كرهتني لم يعد يهمني الأمر.

- كل ما ستفعلينه جيد. إنني فقط في حاجة لمعرفة ما إذا كان هناك مكان في حياتك لشخص آخر.. يا إلهي! اعرف انني ساخذ الأمر بطريقة سيئة ولكني أخاف أن أجرحك مرة ثانية. في الحقيقة يا "كاترين" إن "مايك" في حاجة إلى أب، وكم أحب أن أكون هذا الأب.. الحقيقي.

احتجت "كاترين" في رقة:

- هذا بالضبط ما أريد تجنبه. إنني لا استطيع أن اتصور أن اراك في يوم ما تختفي ثانية لقد مات جزء مني من عشر سنوات ولا شيء يمكن أن يحييه من جديد.

مرت لحظات طويلة قبل أن يستطيع الإجابة. إن الكلمات تخيفه ولكن الصمت أيضا يخيفه أكثر.

- انا متمسك دائما بك..

تراجعت "كاترين" وهي تهز رأسها في حزن.

- لا تقل هذا يا "ويليام" ليس الآن؛ فالوقت مبكر جدا.. بل لقد فات الأوان، واخشى اننا لن نستطيع أن نتبادل الثقة. لقد كبرنا وتغيرنا وبنى كل منا حياة مختلفة عن الآخر.

- ولكننا لازلنا نتبادل الحب.

- لا اظن هذا يا "ويليام". إن "مايك" يجمعنا او ربما نحتفظ في ذاكرتنا ببساطة ذكرى حبنا الماضي.

- طبعا.. ولكن كلينا غير متزوج!

- وكيف نعرف أن الأمر مجرد رغبة محمومة؟

انتفض "ويليام":

- انت تعترفين إذن أن هناك شيئا يجري بيننا؟

- نعم. أعرف أنك تعرفني جيدا بالدرجة التي تجعلك تحس بمشاعري وهو ما أضاعنا من سنوات مضت.

قال وقد بدا جادا فجاة:

- فعلا. ولكن نتيجة لعواطفنا ولد "مايك" ونحن مدينان له بفرصة نتيحها له وهي أن يعود كل منا للآخر.

- تصور انه لم يعد هناك حب بيننا على الإطلاق..

قال بهدوء:

- لا أصدق ذلك. إن ماضينا هو الشيء الوحيد الذي ابقاني على قيد الحياة حتى الآن.

- لقد قرات يوما ما أن الماضي مثل بلد غريب فيه كل الأمور تبدو في عيوننا مختلفة وستكشف... ربما اننا بقينا اعزبين وقتا طويلا حتى اعتدنا على ذلك بحيث لا نستطيع تغييره.

أمسك "ويليام" بيدها مدة طويلة، وظهر القمر من خلف السحاب وغطاهما بنور شاحب.

أدركت "كاترين" فجاة كم هي تحبه وإلى أي مدى استطاعت أن تكتم اندفاعاتها العاطفية.

همس بصوت متهدج:

- أوه يا "كاترين".. كم اشتقت إليك.

ابتعدت "كاترين" عنه بعد أن خلعت يديها من قبضته واخذت تلهث انفعالا وراسها يكاد ينفجر ولكن "ويليام" استمر:

- إنني لم أعد قادرا بعد الآن على الابتعاد عنك حتى وإن كنت أعلم أن هذه حماقة.

www.rewity.com

- يجب ألا تتحكم رغباتنا في مستقبلنا إذ يمكننا أن نؤذي "مايك".

- هل أفهم من ذلك أنك تمنعيني من حبك؟

- لا. ولكن يجب أن نحتفظ بهدوئنا، ويجب أن نتخذ قرارات عقلانية رشيدة. هذه المرة يجب علينا أن نكتشف سببا وجيها لنعيش سويا حتى نهاية أيامنا.

أخذ "ويليام" نفسا سريعا.

وقالت:

- لست أدري إن كنت أستطيع أن أمنعك من ذلك.. ولكني سأحاول. هناك أمر عرفته وهو أن أحصل على ما أريده، وفي هذه اللحظة لدي رغبة واحدة أن يكون لـ"مايك" أم.

- نعم. هذا ما يجب عليك أن تفعليه. أوه يا "كاترين"! أعرف أن هذه أنانية مني ولكني أريد أكثر من ذلك.

- ماذا؟

- أريدك أنت تماما كما كان الحال من عشر سنوات.. أريد أن تصبحي خطيبتي يا "كاترين سانكلير".

###

- هكذا إذن ستغادر المدينة؟

دس "چو هول" بطاقة ائتمانه في جهاز التوزيع وانتظر. رد عليه "ويليام":

- لا.. ليس بالضبط. لو أن أحدا حاول اللحاق بي فأنا عند "كاتي".. حسنا عند آل "سانكلير".

حدجه "چو" بنظرة سريعة قبل أن يراقب شاشة العمليات المصرفية للصراف الآلي وقال:

- لست أدري كيف أقول ذلك لك يا "ويلي" ولكننا جميعا نهتم كثيرا

بحالة "كاترين" و... لا أريد أن أراها تعاني مرة أخرى.

نظر إليه "ويليام" نظرة حزينة:

- ليست هذه نيتي.. وساعمل أقصى ما في جهدي حتى أجنبها ذلك.

###

لقد ترك "كاترين" عن عمد ليرحل للعمل قبل أن يصل إلى القصر الريفي لآل "سانكلير". كانت شجيرات الأقحوان المزدهرة على جانبي الممر المؤدي للقصر الفسيح بينما أشجار "المانوليا" المعمرة لمئات السنين تحيط بطولها المنزل، بينما ناءت أفرعها بأزهارها الضخمة ذات اللون الكريم.

عندما وصل "ويليام" إلى مدخل الأملاك سمع صرخة، وتوقف وهو يرى "مايك" يبرز على الجانب الآخر من السياج الأخضر.

- مرحبا يا "ويليام".. هل وصلت؟

- طبعا... اصعد ومد لي يد المساعدة.

صعد الصبي إلى داخل السيارة المكشوفة ثم رفع رأسه إلي إطار الأشجار وسأل:

- هل لديك نية بناء بيت مثل هذا؟

- لا.. هذه الدار عمرها مائتا عام، وهذا هو ما يعطيها سحرها.

سار بالسيارة بطول القصر وتجاوز حمام السباحة ثم وقف أخيرا أمام بيت الضيافة ذي النوافذ الصغيرة على شكل الكوة. سعد لأن حجم البيت معقول ولكنه تساءل مرة ثانية: إن كان من الأصوب أن يبقى أم لا. لقد ظل بداخله شيء ما معارض وحذر.

قبل أن تقف السيارة تماما قفز "مايك" وجرى نحو حمام السباحة وهو يصيح:

- انظر يا "ويليام".. إن الماء منعش ولذيذ، ويمكن الاستحمام. مرحبا

www.rewity.com

يا خالتي "فيك"! إن "ويليام" موجود هنا وساساعده على نقل امتعته.

صاحت المرأة العجوز من باب المطبخ:

- فكرة حسنة. ربما أراد "ويليام" أن يسبح بعد ذلك.

بدا "ويليام" يفكر قبل أن يجيب:

- شكرا. ولكني لا أريد أن أستغل ضيافتك.

- إن حمام السباحة جزء من اتفاقنا.. ألم تقرأ البند الثالث عشر في نهاية الصفحة؟

مسحت يديها في مريلتها وأتت لتقابله:

- لديّ عصير فواكه طازج إذا كنت تشعر بالعطش.

أغلق "ويليام" باب سيارته، واقترب من "فيكتوريا". لم يكن قد فكر فيما سيقع بعد ذلك: أن يرى الخالة "فيك"، وأن يسكن في بيت الضيافة والعواقب التي ستترتب على ذلك. بعد سهرته مع "كاترين" والتفسيرات التي حصل عليها.

أحس بالانهيار وكأنه خرج من قبره بينما "مايك" ينتظر رده أدرك أن عدم الارتياح غير نابع منه. لقد وعده بالغطس فيما بعد، ولكن الطفل جرى بأسرع ما يمكنه فوق النجيل نحو المنزل الرئيسي. إنه ابنه، وهو أمر لايزال يبدو غير حقيقي. قالت الخالة "فيك" مطمئنة:

- كل شيء سيسير على ما يرام.

- لست أدري. إن كل شيء صار معقدا. لم أعد واثقا من أنني كنت على صواب بعودتي. إنني أجعل الأمور أكثر صعوبة على "كاترين".

- كان من الواجب عليك أن تعود من وقت بعيد جدا ولكنك لم تفعل بسبب والد "كاترين" ولكن صرحاء.. الاختيار الآن أمامك.

نظر إليها "ويليام" وهو مذهول:

- هل كنت على علم؟

- ليس قبل وفاة "سام". لقد كان يعرف ما يريده يا "ويلي"، وكان يريد سعادة ابنته ولكنه لم يكن يعرف كيف يحبها، ولم يخمن أبدا كم هي متمسكة بك. وعندما اكتشفت ما فعله لم أستطع الاتصال بك ولو حدثت "كاترين" عن ذلك لانهارت.

- إنني أتصور ذلك.

كان "ويليام" يفهم أسباب السيدة العجوز. لقد كان هناك وقت لعن فيه "صامويل سانكلير" والآن باعتباره أصبح والدا بدأ يفهم أنه ليس هناك شيء أبيض أو أسود.

تابعت الخالة "فيك":

- ومع ذلك هناك شيء لم أفهمه أبدا: لماذا لم تحاول الانضمام لـ"كاترين"؟

- ولكني فعلت ذلك ليس في الحال طبعا فقد كنت مشغولا جدا، ولكن بعد ذلك.. نعم فعلت، وكانت قد رحلت إلى أوروبا. ثم حاولت أن ألحق بها في الجامعة ولكنهم أخبروني أنها غير موجودة.

- لقد عادت بعد ذلك.

- نعم.. أنا على علم بذلك ولكن وقتها ظلت خطاباتي بلا ردود. وقد تصورت أنها لم تعد ترغب في رؤيتي.

- أخشى أنها لم تتلق تلك الخطابات أبدا.

- أخيرا أدركت ذلك منذ خمس سنوات. لقد اتصلت مرة بـ"چو هول" الذي أخبرني أنها مخطوبة؛ ولذلك كففت عن محاولة الاتصال بها.

عاد "مايك" بأقصى سرعة إلى حمام السباحة وفي يده كوبان من عصير البرتقال:

- هذا من أجلك يا خالتي "فيك" وأنت يا "ويليام".

- هل أنت واثقة من ذلك يا "فيكتوريا"؟

لم يكن "ويليام" يتحدث عن عصير البرتقال طبعا وإنما عن الخطابات. فهمته "فيكتوريا" وهزت رأسها علامة الإيجاب. عرف الشاب بالغريزة أن آخر حاجز من الماضي قد انهار.

- متأكدة تمام التأكيد. هيا اذهب لتسبح وعندما تنتهي سنستانف أنا و"مايك" عاداتنا.

كان تفريغ الحقائب لا يعد عملا شاقا؛ لأن "مايك لم يكف عن سؤاله عن البلدان التي زارها وعن صحراء "السعودية" وأشياء أخرى. ثم حضرت الخالة "فيك" لأخذ الطفل، وفهم "ويليام" أن ابنه متعلق به. قالت "فيكتوريا":

- ما الذي ستفعله يا عزيزي "مايك"؟ نعمل في المعصرة ونستحم أم نقوم بمباراة في الكروكيه؟

- مباراة في الكروكيه.. نعم.. كروكيه.

استطاع "ويليام" أن يسمع ضحكات الصبي المرحة إلى أن اختفى في نهاية الطريق خلف السياج الأخضر.

كانت "فيكتوريا" تعامل الطفل ندا بند مثلما كانت تفعل مع "كاترين"... إن التاريخ يعيد نفسه. بعد أن ارتدى "ويليام" شورتا قديما و"تي شيرت" مستهلكا قرر دخول القصر الريفي بحثا عن المكتبة. أحس في البداية بعدم الارتياح في معقل "صامويل سانكلير". لقد كان حضوره لايزال حيا ومحسوسا بفضل صورته المعلقة فوق المدفأة. بدا وكان عينيه تتابعان أدق حركات الشاب بنظرة اتهام.

رفض "ويليام" أن يعتبر نفسه متطفلا. على أية حال. إن ما يفعله إنما يفعله من أجل "مايك". لقد تحكم "صامويل" تماما في حياة ابنته، ولن يسمح له "ويليام" أن يستمر في ذلك بعد موته. بدأ بإخراج الكتب والوثائق المحفوظة القديمة من فوق الأرفف وهو يدرك أن أي نظام

للحفظ لم يتبع. وهذا يبشر بأن أبحاثه ستكون مرهقة وغير سهلة. ستكون أصعب مما توقع.

مرت أكثر من ساعة قبل أن يسمع صوت الباب البلوط الثقيل. فرفع عينيه وهو يأمل أن يرى "فيكتوريا" وقد أحضرت كوبا من اللبن وبعض البسكويت، ولكن رأس "كاترين" هو الذي برز من فتحة الباب أحس بانفعال غريب يغزوه. سألته:

- ما رأيك في غداء لذيذ؟

- غداء؟

نظر إليها "ويليام" في ذهول. كان جالسا في مقعد والدها ذي المساند وكانت قدماه عاريتين، وقد وضعهما بإهمال فوق الكتب عن يمينه. قالت:

- إنها تلك الوجبة التي تعودنا- كما تعلم- على تناولها وسط النهار. لقد قررت الخالة "فيك" و"مايك" الخروج في نزهة وتركا لنا سندوتشات إضافية.

اتخذ "ويليام" جلسة أكثر لياقة وقال:

- لم أكن أطمع أبدا بعد الموافقة على الاطلاع على المكتبة في أن أتلقى تغذية، إن هذا يعطيك مزيدا من العمل.

- الحق معك. وقد استأجرت شخصا من أجل المطبخ والمشتروات طالما كنت موجودا هنا. إن الخادمة ستحضر لأعمال البيت ثلاثة أيام في الأسبوع وطبعا أنتظر منك أن تدفع هذه المصروفات الإضافية.

- بكل سرور. هل الخالة "فيك" موافقة؟

- إنها تفضل أن تلعب كثيرا مع "مايك".

- ممتاز! إن دفعي أجر الطاهية والخادم يجعلني أحس بالأسرة... حسنا أريد أن أقوم بتحمل مسؤولياتي

www.rewity.com

تراجعت "كاترين" خطوة في الدهليز الذي يتخلله أشعة الشمس. إن رؤية "ويليام" بملابسه هذه جعلتها ترتجف من العاطفة والانفعال.

سنوات طويلة أثناء الجامعة عاشتها وحيدة لم تكن تفكر إلا في دراستها ومهنتها كصحفية ثم في مسؤولياتها كعمدة. إنها لم تنظر ابدا إلى الماضي ولا المستقبل. لقد عاشت فقط في الحاضر.

إن إلغاء ذكرياتها لم تكن بالمهمة السهلة وقد اضطرها ذلك إلى خلق انشطة جديدة بدلا من عاداتهما معا. وحضوره الآن يخرب كل تلك العملية التي قامت بها بنشاط.

عندما قبلت أن يقيم "ويليام" في بيت الضيافة املا في مصالحة لم تكن تتصور انه سيتوغل في نظامها الخاص وربما لن يبقى فيه. لابد أن تفكر في الأمر بجدية أكثر.

لقد تحابا من قبل و"مايك" هو الدليل على ذلك، وكان حبهما وهما في السابعة عشرة من عمرهما حبا طائشا ورائعا وهو إيقاظ للعاطفة الصادقة النقية بلا خوف، وكان من الطبيعي أن تعود تلك العاطفة لتظهر على السطح ولكنها كانت في حاجة لمعرفة ما إذا كان "ويليام" سيتحمل مسؤوليتهما هي و"مايك" قبل أن تسمح لعاطفتها بالظهور. لم تعش "كاترين" ابدا كناسكة، ولقد كان هناك العديد من الرجال في حياتها ومن بينهم من كان على وشك الزواج بها. ثم عندما استقرت بصفة نهائية في "دارك ريفر" كان هناك "چو" على استعداد دائم ولكن على "چو" الآن الاكتفاء بدور كاتم السر كما كان فيما مضى. أما بالنسبة لـ"ويليام" فمنذ يومين كانت الأفكار المتضاربة تتصارع داخل ذهنه بلا انقطاع. في سن السادسة عشرة كانت خطتهما تتلخص في الزواج الواضح في الكنيسة الكبرى، والحياة في سعادة وإنجاب أطفال كثيرين حتى آخر العمر ولكن قصة الأسطورة قد انتهت ولم يعد هناك

أي مراسم زواج، ولا ورود بيضاء، إنها لم تعد تفكر إلا في "مايك" وحل المشاكل التي جلبها معه.

وطالما كان "ويليام" موجودا فإنها ستعيش كل يوم بذاته. إنها لن ترفضه أو تلقي به خارج المنزل. أما بالنسبة للطفل فإنهما يستطيعان أن يتعلما أن يكونا صديقين وهذا هو كل ما ترجوه وتامله. قالت:

- لقد رحلت الخالة "فيك" ومعها جبل من السندوتشات في سلتها، ولا استطيع أن اتصور كيف استطاع "مايك" أن يضعها كلها في السلة.

- لقد جرت محادثة كبرى بيني وبينه بينما أقوم بترتيب أمتعتي.

كان "ويليام" سعيدا لأن الغرفة كانت غارقة في العتمة. كانت "كاترين" ضد أشعة الشمس وهي على عتبة الباب. كانت ترتدي ثوبا أحمر يظهر جمال عودها قالت:

- لقد حكى لي "مايك". وقال لي أيضا إنك تحبه جدا.

أخذ "ويليام" نفسا طويلا حتى يسيطر على رغباته بعد أن وعد نفسه أن يتصرف بتعقل، وأن يتقدم خطوة بخطوة، وهي الطريقة الوحيدة ليغزوها. وضع علامة عند الصفحة التي كان يقرؤها وأغلق الكتاب ثم نهض.

- إنه على حق. إنني اقبل عن طيب خاطر سندوتشا.

- اتعشم أن تحب زبدة الفول السوداني والمربى؛ لأنني أخشى أن الخالة "فيك" و"مايك" لم يعدا إلا ما يحبانه.

- إنني اعشق زبدة الفول السوداني.. بالمربى.

قالت وهي تعود إلى المطبخ:

- هذا من حسن الحظ.

- "كاترين"!

وقفت لحظة حتى لحق بها "ويليام"، وقال:

- لقد ازددت بدانة.

- وانت ايضا.

- نعم. لسوء الحظ بطريقة ليست..

انفجرت "كاترين" ضاحكة عندما رات وجهه يحمر:

- ما الذي حدث؟ هل لك الحق في ان تفحصني وانا لا؟ هل اصبحت خجولا؟

- لقد كنت دائما خجولا وخائفا وطائشا.. الم تلاحظي ذلك؟

- لا.. بالعكس كنت اظن انك واثق تماما من نفسك.

- انا.. لم يحدث هذا طوال حياتي.

- ولا انا. اقصد انني لست واثقة دائما من نفسي ولكني اعرف ما اريده وهذا هو الفرق.

- وماذا تريدين؟

- أريد ابني أولا.. ثم حبك.. ربما.

- اعتقد اننا مدينان لـ"مايك" ان يعرف اين نقف انا وانت. إنني اعتقد بامانة ان عودة الحب لن تضر.

- اتعشم ان تكون على حق.

- انا على حق. ويجب علينا استكشاف كل الاحتمالات والحب هو اول ما يجب ان نجربه.

###

ارتفع صوت الباب البلوط الثقيل خلفهما. فزعت "كاترين" وحاولت ان تسترد رباطة جاشها ثم سارا في الدهليز حتى المطبخ حيث القى كل منهما بنفسه على اول مقعد قابله. سال "مايك":

- "ويليام": لقد قررت انا والخالة "فيك" ان نتناول غداءنا بالقرب من حمام السباحة. هل ستاتي؟

- إيه.. لا.. ليس الآن. إن الجو في هذه الساعة حار جدا.

قالت "فيكتوريا" معلقة في تهكم:

- إيه.. حسنا.. إنني أجد الجو شديد الحرارة هنا ايضا.

حدجت ابنة أختها التي كانت تملأ كوبين من الآيس كريم بينما يوجد قدحان أخران من الآيس كريم على المائدة. قالت الخالة لـ"كاترين":

- لم أكن أعرف انكما ستعودان لتناول الغداء.

اعترفت "كاترين":

- انا.. ايضا لم أكن أعرف. انا لن ابقى. فلدي موعد من أجل مشروعاتنا الجديدة. إن نصف المجلس فقط موافق.

سالها "ويليام":

-وانت؟

- إن رأيي لا أهمية له. إنه موضوع مليء بالمتناقضات؛ لأن أحدا لم يطرق المشكلة الأساسية.

- لست أفهم. لماذا يرفض المجلس البلدي أي مشروع جديد؟

- البعض يقول إن ذلك لن يؤدي إلا إلى حضور الأجانب ليستفيدوا من الوظائف الجديدة. لا يوجد بالفعل عمال خارجيون في "دارك ريفر". وأي مشروع لن ياتي بشيء كبير للسكان..

- بل سيفعل بفضل الضرائب الجديدة.

قالت "فيكتوريا" معلقة وهي تصف الأكواب على صينية:

- "ويليام" على حق. انا لدي فكرة: لماذا لا تصحبين معك "ويليام" إلى الاجتماع؟ ربما توصل إلى أن يجعل المجلس ينصت إلى صوت العقل.

- انا و"مايك" لدينا ما يشغلنا طوال ما بعد الظهر ولن نزعجكما.

وافق "ويليام":

- موافق.. ولكني أحب أولا أن تكون لدي فكرة واضحة عن الوضع.

www.rewity.com

وبعدها يسعدني أن أقدم مساعدتي إلى المجتمع. إذا كان هذا يثير اهتمامك!

- أنا.. أنا أشكرك يا "ويليام" ولكني لست أدري ماذا سيكون رد فعل أعضاء المجلس. أنا نفسي أقدر رأيك فعلا.

تمنت "كاترين" في ذهنها أن يمنحها زملاؤها أذنا صاغية. وضعت الأكواب على المائدة وجلست وهي سعيدة لأن تعثر على نقطة مشتركة مع "ويليام" مرة ثانية.

قالت الخالة "فيك" للصبي قبل أن تحدج ابنة أختها في فضول:

- اذهب واشرب اللبن المثلج في الخارج يا "مايك". هل أنت بخير يا عزيزتي "كاترين"؟ إنك تبدين لي مضطربة بعض الشيء.

أخذ "ويليام" كوبه حتى يسيطر على نفسه وهو ينتظر إجابة "كاترين". كان يشك في أن تخبر "كاترين" خالتها بالسبب الحقيقي لاضطرابها.

- أنت تعرفين أنني موافقة على استخدام "ويليام" لمكتبتنا من أجل أبحاثه.

ردت "فيكتوريا":

- أعرف.

- حسنا.. لقد قررنا أيضا أن مستقبل "مايك". لقد أخبرت "ويليام" بكل شيء مساء أمس.

- لقد كنت أعرف أنك ستفعلين ذلك.

- كيف هذا؟

- لأنك قادرة على فهم مشاكل الآخرين. أنت لا تستطيعين حرمان "مايك" من أبيه وطرد "ويليام" دون شرح أو تفسير.

لم تحس "كاترين" بأن الشاب أمسك بيدها. سألتها "فيكتوريا":

- ما الذي قررته بالنسبة لـ"مايك"؟ إنه لن يستغرق وقتا طويلا ليفهم أن هناك شيئا ما بينكما.

قال "ويليام" بدلا من "كاترين":

- لم نقرر شيئا. كل شيء لابد أن يؤخذ بهوادة. لابد أن يعرفني "مايك" مثلما يعرفكما - "كاترين" وأنت - لابد أن نصبح أصدقاء.

- آه ها.. فهمت.. إن ذلك لن يصبح سهلا؛ لأنني لم أنخدع أنا ولا "مايك" - عند دخولنا - في أننا قاطعنا شيئا لا صلة له بالصداقة على الإطلاق.. أليس كذلك؟

ابتلع "ويليام" ريقه بصعوبة حتى أوشك أن يختنق بينما هبت "كاترين" واقفة وهي فزعة وأخذت تضربه على ظهره بقوة، وعندما استرد نفسه انفجرت "فيكتوريا" ضاحكة:

- آه.. ها.. هذا ما فهمته تماما.. إنني أتباهى بأنني امرأة متفتحة وعصرية ولا أرى شيئا ممنوعا فيما فعلتماه من أجل مصلحة "مايك".. ولكن ربما كان من الأفضل أن تفعلا ذلك بطريقة غير واضحة من أجل "مايك".

صاح "مايك" بنفاد صبر:

- أنا جوعان يا خالتي "فيك"!

همهم "ويليام":

- بطريقة غير واضحة؟ هل كنا ظاهرين إلى هذه الدرجة؟

كتمت "فيكتوريا" ابتسامتها واتجهت نحو الباب:

- راجعي الترمومتر يا عزيزتي.. أعتقد أن الحرارة هنا تجاوزت الحد.

###

كان عليهما أن يتناولا سندوتشات زبدة الفول السوداني، والمربى

www.rewity.com

ولكن الحقيقة أن "كاترين" لم تكن تحس بالفرق بين زبدة الفول السوداني والمربى. كان عليهما أن يودعا "مايك" والخالة "فيك" ولكن "ويليام" لم يتذكر ذلك. كل ما تذكرته "كاترين" بصورة مبهمة أن "ويليام" ارتدى بنطلونا وحذاء، ولم تسترد رباطة جاشها حتى عندما وصلا إلى المدينة.

- هل لديك فعلا رغبة في الاهتمام بهذه البلدة الصغيرة؟

- لماذا؟ لو اضطررت لأن أصبح أحد سكانها فإن لدي كل الرغبة والاهتمام بتقديم خدماتي.

- إنني أجهل تماما ماذا سيكون رد فعل أعضاء المجلس البلدي.

- نحوك أم نحوي؟

- أوه.. لست أدري.. ليست أفكاري واضحة. إن الأمر نابع منك. وخلال ساعة أو ساعتين لابد أن أعود إلى دور العمدة، ولن أسمح لنفسي بإظهار عواطفي الخاصة. إن مصداقيتي ستتأثر، وهذا يمكن أن يفسد المشروع وهو في مهده.

- هل حبنا... ظاهر إلى هذه الدرجة؟

- أخشى هذا. امنحني الوقت لإعداد مساعدي لتقبل تدخلك.

- طبعا.. وأثناء هذا الوقت سأفحص عروض المهندسين المحليين. أخطري اللجنة أنني سألقي نظرة على المشروع، وأنني سأعطيهم رأيي كخبير حول الإمكانات التمويلية.

فتح "ويليام" باب السيارة وقال:

- لا تقلقي.. كل شيء سيسير على ما يرام.

رآته وهو يسير بطول الرصيف ثم يقف ليتحدث مع "فريد" الحلاق الوحيد في "دارك ريفر"، والوحيد أيضا الذي يمكنه نشر الخبر في كل البلدة.

فهمت في لمح البصر أن علاقتها مع "ويليام" ستكون معروفة قبل أن ترغب هي في ذلك. غادرت السيارة ودخلت إلى مقر العمودية تاركة "فريد" في شبه هيستيريا على الرصيف.

###

- إذن.. إنه هو؟

- ما الذي تقصدين قوله يا "نانسي"؟

- الرجل الذي كنت تنتظرينه منذ زمن طويل.

- من قال إنني أنتظر شخصا ما؟

- ما عدا مواعدتك النادرة لـ"چو هول" لم يرك أحد مع رجل منذ أن عدت إلى "دارك ريفر" منذ خمس سنوات يا "كاترين سانكلير". أنت لن تخدعيني، أولا تحضرين طفلا ثم رجلا مليحا غامضا!

- إذن سمعت أن "ويليام" يسكن في منزل الضيافة. لابد أن هذا من فعل الخالة "فيك" ولكن لا داعي لابتكار أسطورة خرافية من فضلك.

أخذ جرس التليفون يرن وانتهزت "كاترين" الفرصة لتدخل حجرة مكتبها. صاحت "نانسي":

- إنه "چو هول" يا "كاترين"! على التليفون.

رفعت "كاترين" السماعة قائلة:

- نعم يا "چو".. ما الذي يجري؟

- هذا ما أريد أن أعرفه ما الذي بينك وبين "ويلي"؟ لقد تعشمت أن مرة واحدة تكفي.

- إن حكاية وصولي إلى العمودية مع "ويليام" وصلتك!

- لا.. وإنما أتحدث عن بيت الضيافة. هل هيَّ فكرة جيدة؟

- طبعا يا "چو".. ولكن هناك تعقيدات... لسبب أنا لا...

- أعرف هذا السبب. أنت لازلت عاشقة لذلك المخلوق أليس كذلك؟

www.rewity.com مـرمـوريـة

- لست أدري يا "چو".. لا أعرف شيئا عن الأمر بل أقول أيضا إنني لا أعرف إن كان لذلك أي أهمية.

- إن الأمر مهم يا "كاترين" ولا أريدك أن تتعذبي. إنني لن أتحمل ذلك.

- شكرا يا "چو". أنت صديق رائع ولكن هذه قضيتي الخاصة.

- أنت تخيفيني.. أنا موجود هنا لو احتجت لي.

استغلت "كاترين" وقت ما بعد الظهر في إقناع اللجنة بضرورة التطور الصناعي، وبعد الاجتماع لم يكف تليفونها عن الرنين. إنها مدينة بالكثير لـ"نانسي" التي لم تكن سكرتيرتها فحسب وإنما أيضا صديقتها. لم تعرف "كاترين" أن الفتاة المسكينة قامت بالرد على كل المزعجين. إنها لم تفكر إلا في "ويليام" وأخيرا أخذت حقيبة يدها، وحقيبة أوراقها المملوءة بالأوراق، وغادرت دار العمودية.

كانت قد استنفدت كل طاقتها، وتعشمت أن يكون "ويليام" موجودا عندما تبدأ المدينة في حملاتها المسعورة.

الفصل الرابع

فتح "ويليام" باب السيارة وألقى بجسده على المقعد. سألته "كاترين":

- كيف جرى الحال؟

- الحال سيئ.

- هذا بسبب المشروع الصناعي أم بسبب عودتنا لبعضنا؟

- إنك تبدو وكأنك مخلوق جاء من وراء الطبيعة.

- لا هذا لا ذاك.. الاثنان على ما أظن هل هذا ظاهر؟ ما رأي اللجنة في المشروع؟

بدت على "كاترين" علامات الشعور بالذنب.

- إنهم لم يكونوا متحمسين بالدرجة الكافية.

- معنى كلامك أنني لازلت في عيونهم "ويليّام" الولد الفاسد.

- لا.. هذا ليس صحيحا! إنهم يعرفون نجاحاتك وشركاتك المالية. كل ما هناك أنهم صدموا بأن شخصا غريبا يعطيهم النصيحة.

www.rewity.com مـرمـوريـة

- ولكني لست غريبا.

لاحظت "كاترين" مدى تأمله إن كل الشركات الصناعية والمستثمرين في طول البلاد وعرضها يدفعون غاليا من أجل نصائحه بينما رجال الإدارة في بلدته مازالوا مرتابين في شأنه. طبعا فإنهم لن يستطيعوا استبعاده طالما كانت هي العمدة.

سارت "كاترين" باقصى سرعة خارج البلدة. لقد اختارت دون إدراك اتجاه النهر بالضبط خلف منتزه "سانكلير". إنه نهرهما.. مكانهما السري.

- إن "دارك ريفر" في حاجة إلى نصائحك يا "ويليام"، ولن أسمح لعصابة من المتخلفين أن يحددوا لي الخطوات التي يجب عليّ أن اتخذها. لابد أن نتحدث في ذلك.

- بل يجب بوجه خاص أن نتحدث عن أنفسنا إنني لا أهتم بهؤلاء المتخلفين: لأن مستقبلنا هو المهم.

- ولكن يا "ويليام".

- لا.. لنتحدث الآن عن أنفسنا لنجد مكانا مناسبا نتناقش فيه.

غادرا السيارة تاركين عن عمد مكانهما المفضل على ضفة النهر حتى لا تؤثر الذكريات على قراراتهما.

صحبها "ويليام" حتى الأرجوحة التي أقامها المالك القديم على مسافة من الماء. جلست عليها "كاترين" في حذر وهي تستمع إلى صرير سلاسلها.

- أليست خطرة؟

- ليست أخطر مما فعلناه منذ عودتك.

عندما جلس بجوارها حرك ثقله الأرجوحة، ولم يكن يزعج السكون سوى صوت السلاسل المعدنية. بدا يتأرجحان دون أن يتبادلا كلمة.

وكانت الخضرة تحيط بجانبي النهر الذي انعكست أشعة الشمس على سطحه، ومن حين لآخر كانت بعض الأسماك تتقافز من الماء خارج الأمواج، وتقطع السكون في فترة ما بعد الظهر.

قال "ويليام" معترفا:

- لقد اشتقت إلى هذا المكان. إنني لم أتصور مدى هذا الشوق. لماذا أحسست بالرغبة في العودة إلى هذه البلدة؟ لقد صنعت حياتك في مكان آخر.

- لقد طعنت الخالة "فيك" في السن، وكانت قلقة بشأني. ثم إن هذا البيت هو حياتي كلها: وكان عليّ أن أدرك ذلك.. هل تفهم؟

- نعم. الماضي والحاضر والمستقبل ليسوا سوى شيء واحد ويعتمد على علاقاتنا التي نستطيع إقامتها مع الآخرين المحببين إلى قلوبنا. إنني متمسك جدا بالعثور على جذوري لنفس الأسباب وليس فقط من أجل "مايك" وإنما لأزيل تلك الأقاويل المتخلفة لبلدة "دارك ريفر" قبل رحيلي...

- هانت قلتها... لقد أطلقت الكلمة القاتلة!

عقدت "كاترين" ذراعيها على صدرها في حركة دفاعية. أمسك "ويليام" في الحال بكتفيها.. لقد كانت مشدودة العضلات بينما انسدلت خصلات شعرها الطويل على ذراعيه. أخذ نفسا عميقا قبل أن يتركها. إنها ليست اللحظة المناسبة للانفعال العاطفي وإنما هي لحظة الكلام.

- أنت تعلمين أنني أريد أن أتولى دوري كأب لـ"مايك" ولكنك لو منعته عني فإنني سأرحل.. إنني لا أريد أن أسبب لك متاعب أخرى.

- إنني أفهم ما تشعر به فقد كنت في نفس الحالة المعنوية عندما اتصل بي القاضي.. هل كانت إعادة "مايك" إلى البيت شيئا طيبا؟ إنني لم أستطع في البداية أن أخبره أنني أمه الحقيقية وكنت شديدة الخوف

www.rewity.com

من الإفصاح عن السر القاتل، وقبل أن أتخذ أي قرار وصلت أنت.

- وماذا قررت؟

- إنه سؤال نظري بحت مادمت مجرد عابر سبيل!

- ربما لا... إنه من الضروري عودتي من حين لآخر.

- وطبعا هذا حسب ما يحلو لك! أعتقد أنني لا أستطيع التعود على ذلك.

أمسكت بشجاعتها بين يديها لتضيف:

- نحن لا نستطيع أن ننكر أبدا أننا دائما منجذبان كل منا نحو الآخر ولكن هل هناك شيء آخر؟

كانت وهي تسأله مضطربة وموردة الخدين. رد قائلا:

- لنفترض أنك قررت وقف كل شيء. ما الذي سيحدث لـ"مايك"؟

واجهته هذه المرة، وفكر في داخل نفسه.. إنه لم يشاهد في حياته امرأة بهذا الجمال. يا إله السماوات. كم تغيرت! لقد نضجت، وتنبعث منها حاليا شجاعة وقوة لا يستهان بهما. إن "كاترين" لازالت الفتاة التي عرفها وهما في السابعة عشرة ولكنها تعلمت كيف تتحكم في نفسها.

نهض "ويليام" ثم طبع قبلة على يدها.. كانت هذه الحركة وعدا باكتشافات جديدة. استطرد:

- أنت على حق يا عزيزتي.. فلا شيء سهل ولكن الأسوأ مضى وانقضى. أنت و"مايك" زبدة وجودي حاليا.

همهمت:

- نعم... حاليا..

منعت "كاترين" الأرجوحة من الحركة وطارت فراشة حولهما..

وخلفهما كانت السماء والأشجار بلون لازوردي.

###

قالت "كاترين" وهي ممددة على أرضية حجرة المكتب وهي تقوم بمراجعة السجلات:

- هل تعلم أن بلدتنا تقع في مستعمرة للهنود الحمر؟

رد عليها "ويليام" وهو يجد صعوبة في التركيز على شيء آخر سوى ساقيها الطويلتين:

- لا.. لم أكن أعرف ذلك.

- هناك معاهدة أن نحصل على هذه الأراضي مقابل أن ندعهم في حالهم.

أجابها بصوت مختنق:

- إن هذا لا يدهشني. إن سكان "دارك ريفر" لديهم موهبة حكاية الأمور في صالحهم.

- هل تتصور أن هذه السجلات موجودة منذ فجر التاريخ هنا ولم يحدوني الفضول على أن أطلع عليها أنا العمدة! إنني لا أستطيع أن أفهم كيف لا أهتم هكذا ببلدتي!

- إن لديك ما يشغلك غير هذا.

أجابته وهي ساهمة حالمة:

- هذه الأيام.. نعم.. أنت وابنك لا تكفان عن الجري والقفز. أما أنا فإنني أستطيع أن أبقى هنا ممددة حتى على الأرض لأنام.. لست أدري ما الذي يجعلني كسولا يوم السبت؟

- إنه أمر محبب ومثير... أليس كذلك؟ أقصد أنا وأنت معا.

- نعم.. جدا.

- أنت أم طيبة لـ"مايك" وهو يحبك.

- وانا كذلك احبه طالما لا يدعوني إلى إحدى حماقاته هو والخالة "فيك".

وافقها "ويليام" وهو يقهقه:

- إنني لا أستطيع ان احدد من فيهما لا يطاق اكثر من الآخر.. إن عقل الخالة "فيك" عقل طفل في العاشرة.

- إنني اتساءل أين يمكن ان يكون ابننا الآن. بعد عطلة نهاية الأسبوع التي جعلني أتحملها في الأسبوع الماضي أجده هادئا بدرجة مثيرة.

ابننا! رنت هذه الكلمة في اذنيه. إن جلوسه مع "كاترين" في مكتبها شيء ممتع حقا وسماعها تتحدث عن ابنهما يكمل اللوحة الرائعة. أغمض عينيه.

- إن الخالة "فيك و"مايك" مشغولان بالقطار الصغير الموجود في المنتزه.. الم يسبق لك ان شاهدته يا "ويليام"؟

ثم هبت واقفة. لم يناقشها وإنما كان سارحا في افكاره. تبعها على النجيل المحاط باشجار السرو المعمرة مما هدأ من روحه. عبرا حديقة صغيرة محاطة بجدران، وكان من الواضح انها خالية وبها في احد الأركان حوض به أسماك حمراء، وكانت الحواف مغطاة بالطحالب البحرية هي والشلالات الصغيرة التي تصب الماء في حوض الأسماك. سالته:

- فيم تفكر؟

ضاع رد "ويليام" وسط صفير القطار.. صفير طويل وحزين بدا وكانه آت من وراء الجدار المنخفض للحديقة. ثم فجاة ظهرت قاطرة تجري وق الطريق الحجري. لم يستطع "ويليام" إلا أن يبتسم:

- قطار! أوه إنه قطار صغير حقيقي!

تابع قدوم القطار نحو حوض الأسماك والشلالات. وعرباته تتارجح في حين أطلقت القاطرة سحابة من الدخان، وصفيرا يصم الآذان. جذب ضحك "ويليام" من افكاره وقال:

- أرجو أن تكون الخالة "فيك" لا تقهر في العاب القطارات الكهربائية مثلما هي في العاب الفيديو؟

- بالضبط.. تعال لترى.

صعدا بضع درجات حجرية، وتاملا بقية السكة الحديدية لقد كان عالما مرحا ومصغرا ومصنوعا من قطارات وقرى صغيرة. قالت له:

- انظر يا "ويليام"هنا افضل من داخل السقيفة. هنا القطار يستطيع الذهاب إلى اي مكان. إنه يدور حول البيت ويجري في الحديقة ويعود.

ابتسمت.. إن "مايك" يجب ان يتولى السيطرة على اللعب وهي تفهم ذلك. شرح "مايك" لـ"ويليام":

- إن الخالة "فيك" هي المهندسة وانا مساعدها هل تحب ان تسمع صفير القطار؟

قال "ويليام" وهو مشدوه:

- باسم القديسين.. كيف تفعلين ذلك؟

ردت الخالة "فيك":

- انا؟ أوه! كل ما فعلته هو اني اصلحته. إن خال "كاترين" الأكبر هو الذي اشتراه في بداية القرن. إنه يجمع القاطرات البخارية وأجيال "سنكلير" تضيف إليها بعض القطع ما عدا والد "كاترين" الذي لم يكن يهتم بها. مرحبا بك في محطة قطار "دارك ريفر" أيها العزيز.

- اه.. لم يكن العجوز "صامويل" يحب القطارات.

- نعم.. إن اللعب كان يعتبر في نظره تفاهة ليس عنده وقت يضيعه أما بالنسبة لك فإن الكثير أمامك لتتعلمه..

ابتعدت الخالة "فيك" عن المحطة الرئيسية تاركة "ويليام" في مكانه بلا حركة. أدركت "كاترين" وهي مندهشة انه في الحقيقة لم يكن يعرف اللعب.

قالت بسرعة لخالتها:

- استمرا بدوننا.. سنستمر أنا و"ويليام" في طريقنا إلى السيرك.

بعد دقائق شاهدا العجلة الضخمة الدوارة وقد امتلأت مقصوراتها بالناس وهي تدور وتومض بانوار ملونة بينما الحيوانات الصناعية تدور حول نفسها على صوت الموسيقى.

لقد كان "ويليام" مشغولا بنجاحه المالي فلم يتنبه إلى الأشياء المسلية البسيطة. لم تكن عنده أبدا قطارات بخارية ولا لعب وإنما مجرد دراجة وجدها في يوم ما على جانب الطريق. لقد كانت تلك الدراجة ملقاة وكانت بداية كل شيء. وقتها طلبت منه "كاترين" أن يصحبها على الدراجة حتى المدرسة وبدأ بذلك تاوهما.. كان هو الفقير المعدم وهي الأميرة من الحي الراقي. لقد دافعت عنه ضد الجميع بما فيهم أعضاء المجلس البلدي اليوم. إن هؤلاء الحمقى على استعداد اليوم للتخلي عن خطة توفر العمل لمواطنيهم لمجرد خوفهم من الغرباء. لقد حددت "كاترين" المشكلة ولكنها لم تقل الكلمة الأخيرة بعد.

لقد غير غياب "ويليام" أشياء فيه فقد أصبح متسامحا ومصمما تمام التصميم على العثور على طريقة لغزو المجلس البلدي، وأن يفرض نفسه حتى لو تطلب ذلك وقتا. ويجب أن يفعل ذلك من أجل "مايك".

قررت "كاترين" والخالة "فيك" ترك الأب وابنه يلهوان بالقطار في حين أخذتا تعدان العشاء، وعندما أصبحت الوجبة جاهزة كان "ويليام" يعرف كل شيء عن القطارات الكهربائية.

جلست "كاترين" و"ويليام" عند هبوط الليل تحت الشرفة الأمامية

وأخذا يتأملان الفراشات وهي تطير في جنون حول المصباح. كانت الخالة "فيك" قد أوت إلى فراشها و"مايك" يشاهد التليفزيون. قال لها:

- لابد أنك سعيدة جدا لأنك كبرت هنا؟

- نعم بعد وصول الخالة "فيك". فيما مضى لم تكن جزءا من الأسرة كما هي الآن. كانت تقيم في بيت الضيافة، وكان أبي لا يحب أن يراها هنا كثيرا. لقد كان يحب القواعد الصارمة وعلى الجميع الالتزام بها.

- لست أفهم. لقد ماتت أمك ولم تكوني سوى طفلة. ألم يرغب في أن تربيك أختها؟

- لأنها لم تكن أختـه وإنما أخت أمي. وهو كان يكره الإشاعات والأقاويل.

- لقد كان والدك قاسيا. لقد ظننت أنه يحب الخالة "فيك".. إنها فكرة غبية؛ لأنه كان عاجزا عن أن يحب أي شخص!

- عندما كنت طفلة كنت أظن أنه لا يتقبلها على الإطلاق ولكن الآن مع مرور الوقت أتساءل..

أدار "ويليام" رأسه. كانت عيناه قد تعودتا على العتمة، واستطاع أن يرى الانعكاسات الفضية على شعر رفيقته الأشقر. لقد كان كهالة حقيقية من الفضة حول وجهها. لقد كان سعيدا لوجوده معها في هذا المكان هي و"مايك" والخالة "فيك" إنه لم يسبق له أبدا أن عاش نهارا مثل هذا.. إنها السعادة الحقيقية. سألها:

- فيم تفكرين؟

- لقد كان هناك دائما شيء غريب بين أبي والخالة "فيك"... تقريبا وكأنهما لا يعرفان كيف يتصرف كل منهما نحو الآخر. لقد كان والدي يزيد في العمر عن أمي بعشرين عاما عندما تزوجا. وقد ولدتني أمي وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها، وكان مولدي خيبة أمل بالنسبة

له: فقد كان يتمنى ولدا.

- لقد كان من الممكن أن يعشق "مايك".. بالخسارة.. لم يستطع "ويليام" أن يكمل عبارته. لقد كان الموضوع شائكا. ولكن في الحقيقة أنه رغم أن "صامويل سانكلير" كان عاجزا عن إظهار أي لمحة من الحنان والحب نحو ابنته فإن الرجلين.. "ويليام" و"صامويل" كانا أهم شيء في حياة "كاترين" رغم أنهما لم يجلبا لها أي سعادة أو حب. لقد لفظها والدها وهجرها حبيبها قالت له:

- خسارة.. إنه لم يتعرف على حفيده. أليس كذلك؟ لقد رغبت فيه بكل حماس ولكنه... من الأفضل أن تقص عليّ حياتك. ما الذي فعلته بعد أن غادرت "دارك ريفر"؟ وكيف أصبحت ثريا لهذه الدرجة؟

بدأ "ويليام" يضحك ثم ما لبث أن قال:

- هل تريدين الحقيقة أم سيرتي الذاتية الرسمية؟

- الحقيقة إذا كانت هناك فعلا حقيقة.

- كل شيء بدأ وأنا في الكلية. لقد كان لي أستاذ ماهر في الأعمال اليدوية. وكان رأسه يتفجر أفكارا لا ينفذها عمليا. لنقل: إنه عرض علي تبادل الخدمات.

- دعني أخمن.. لقد كنت تريد شيئا عنده، وكنت على استعداد لمنحه ما يريد في المقابل أليس كذلك؟

- كنت في حاجة لأن يكون ترتيبي من بين العشرة الأوائل وهو يحاول تشغيل نظام جديد لتنقية المياه.

- هل نجحت؟

- نعم.

- وحصلت على تقديرات عالية؟

- لا.. لقد خدعني. ولكني احتفظت بنسخة من اكتشافي واشترته

إحدى الشركات.

- أنت لن تتغير أبدا، ما الذي حدث بعد ذلك؟ هل نجحت في امتحانه؟

- صدقي أو لا تصدقي فقد نجحت بامتياز كمهندس استشاري وخبير في دراسات السوق.

- لقد قطعت مشوارا كبيرا منذ مغادرتك البلدة. أنا آسفة بالنسبة لوالدك يا "ويليام". لقد أخبرتني الخالة "فيك" بموته.. يا لها من حادثة مأساوية.

ظل الشاب صامتا فترة طويلة.

- لم تكن حادثة... لقد خلع كل ملابسه قبل أن يغطس في المياه.. لقد قتله النهر الذي أعطى اسمه لعائلته.

- إن هذا النهر ظل دائما خطرا للغاية.. هناك دوامات تحتية خطرة جدا وباعتباري عمدة كانت أهم أعمالي هي تحديد المناطق الخطرة من النهر. لقد انخفض معدل الحوادث من وقتها بشكل ظاهر.

- أعتقد أنك لم تفهمي جيدا ما أعنيه إنها لم تكن حادثة غرق بسيطة.. إن أبي لم يكن يعرف العوم بل إنه كان يخشى الماء..

- أوه لا..! كم هو قاس أن تعرف الأمر هكذا!.

- لقد فقدته قبل ذلك بطريقة ما ولكن بعد ذلك لم تعد لدي أي رغبة في العودة للبلدة.

فكرت "كاترين" أن نفس الشيء حدث بالنسبة لها. لقد صنعت بنفسها حياتها الخاصة بدون "ويليام" وهي تجد صعوبة في تقبله.. لأن الألم لايزال موجودا.

قالت الشابة له بصوت متهدج:

- هناك شيء ما أريد أن أسألك عنه. أنا و"مايك" والخالة "فيك" نذهب كل أحد إلى القداس. ونحب أن تنضم إلينا.

www.rewity.com

- لماذا؟

- لانني احب ان تربي ابننا على المبادئ القويمة في اسرة متحدة.

اعترف على مضض:

- طبعا.. وبدون شك.. إذا كنت تؤمنين بذلك. ولكن هل لي حقا مكان في اسرتك؟

- الأمر يرجع إليك في تقرير ذلك حاول أن تفكر في "مايك".

نهضت "كاترين" واتجهت نحو باب المطبخ ودفعته قبل أن تستدير وتنظر إلى "ويليام" وقالت:

- إنني متمسكة بك كثيرا.. اعلم هذا.

انغلق الباب فصاح:

- أوه.. انتظريني.. لا تذهبي هكذا..

قفز "ويليام" على قدميه وجرى وراءها قائلا:

- إنني أريد...

- ماذا تريد؟

- لست أدري. حسنا.. إذا عرفت.. أوه إنني أريد أن المس شعرك.. أوه يا "كاترين" انا لا أستطيع الاستغناء عنك.

همست وهي تستند على الجدار:

- اعلم ذلك.

كان كل جسدها يرتجف. لقد طلب منها "ويليام" ان تحفظ لـ"مايك" هويته الحقيقية سرا. وهذا يشكل مشكلة فبقدر ما تود هي الاحتفاظ بابنها لها بقدر ما تريد الآن أبا له. إن عشر سنوات من الحرمان والتجريم لـ"ويليام" لم تلغ رغبتها الشديدة فيه. أحست بوجوده الرجولي القوي بالقرب منها:

- أوه.. يا "كاترين" يا عزيزتي..

كانت عاطفتهما قوية جدا تجتاح كل خلية في جسديهما وشملتهما حرارة غريبة جعلتها بلا قوة. أوشك قلب الشابة ان يتوقف وعاد الماضي يتسلل إليها.

- ارجوك يا "ويليام" دعني في حالي.

- يا عزيزتي انت ترغبيني مثلما ارغبك ولكن لحسن حظي فإنني استطيع التحكم في نفسي الآن عما مضى. تصوري لو فاجاتنا الخالة "فيك"!

هبطت تلك العبارة الأخيرة عليها كدش بارد.. ذهب عنها جنون العاطفة وبدت الحقيقة واضحة وصرخت:

- إن هذا لن يبدأ مرة أخرى من جديد.

صفقت الباب بعنف قبل أن يتمكن "ويليام" من الإتيان بحركة لمنعها. ولكن ما الذي كانت ترجوه؟ كيف استطاعت أن تتصرف هكذا؟ لقد اوشكت أن تستسلم له بنفس الرغبة عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها ولكنها تعرف الآن خطر الوقوع في حب رجل هوائي من نوع "عزيزتي".. أريد أن أشتري علبة سجائر" ثم لا يعود إلا بعد عشر سنوات. أحست بالإحباط والقنوط يجعلان خطواتها متعثرة وهي تصعد الدرج.

اعترفت في الحال أنها لم تفعل شيئا عن وعي ولا هو كذلك. لم يكن اي منهما مستعدا. ثم قالت له إنها تعتمد عليه كثيرا وهو الذي كان من عشر سنوات مجنونا بحبها إلا انه وجد امرا اكثر اهمية من الحضور للقائها.. هل يمكنها أن تكسب هذه المرة؟

لم تدرك "كاترين" انها كانت تنشج بالبكاء إلا عندما نادتها الخالة "فيك" بصوت يشوبه القلق:

- هل انت بخير يا عزيزتي؟

- لا.. اقصد نعم! أوه! ثم إن الأمر لا يهمني في شيء. عودي إلى النوم

www.rewity.com مـــروريـــة

يا خالتي. لابد أن أسوي الأمر بنفسي.

- موافقة، ولكن كوني حذرة! ليس هذا ما أريد أن أقوله. ألقي بالحذر إلى الجحيم إذا كنت تريدين "ويليام". لا تحملي هموم العالم كله على كتفيك. إن إخفاء عواطفك سيقتلها وتفقدين كل شيء.

كتمت "كاترين" أنفاسها. شيء ما في كلمات خالتها أثار انتباهها. إنها ليست واثقة من الأمر ولكن لديها شعورا بأن خالتها لا تتحدث عن مشاكل "كاترين" وإنما عن مشاكلها هي.

نامت على هذه الفكرة ولكن النعاس جفاها، وأخيرا كما يحدث في كل مرة تارق فيها نهضت وفتحت الصندوق الموجود أسفل سريرها والمصنوع من الخشب المحفور ولم تجد صعوبة في العثور على ما تبحث عنه: دب قديم من القطيفة المحشوة كانت قد اشترته من أجل الرضيع الذي لم تستطع أن تحمله بين ذراعيها. إنه شيء حلو يذكرها باسمه الحقيقية ولكن الطفل لم يحصل على الدب أبدا ومع ذلك ظلت تحتفظ بالدب في حرص شديد حتى أصبح مع مر الأيام السلوى الوحيدة لها. ليلة بعد أخرى سكبت الدموع البائسة فوق الدب وهي تهدهده بين ذراعيها.

تسللت والدب بين ذراعيها إلى حجرة ابنها. لقد حان الوقت لتخبره بالحقيقة لابد أن تجد وسيلة لتفعل ذلك. كان "مايك" نائما مع الملائكة.

عند تباشير الفجر لم تستطع "كاترين" أن تستقر على شيء فارتدت مايوها للاستحمام وهبطت إلى حمام السباحة. كان الماء باردا عندما غطست فيه، وعندما شبعت من الاستحمام كانت السماء قد أصبحت زرقاء صافية والحياة بدت جميلة. غردت الطيور في سعادة ومرح، وسمعت عن بعد صوت آلة جز النجيل. إن دار العمودية ستتلقى في اليوم التالي شكاوى من سكان ضفاف النهر؛ لأنهم لم يستطيعوا النوم.

أخذ "ويليام" يراقب الشابة من نافذة حجرته وهي تعوم بقوة في حمام السباحة، وكان المايوه ضيقا يبرز جمال جسدها. اجتاحته رغبة في أن يكون معها في الحال. ليس في الحال فحسب وإنما في الأيام والشهور والسنوات القادمة.

تساءل ماذا في الذهاب إلى الكنيسة مع العائلة؟ إنه أمر محترم للغاية. هل هذا المستقبل يناسبه؟ حاليا.. نعم. ولكن "ويليام دارك" الثري والشهير هل يقبل أن يعود ويبقى في البلدة؟ لا شك أنه يفكر في غير ذلك. لقد حصل على كل شيء ونجح تماما خارج هذه البلدة. لم يكن هنا سوى صبي متشرد سيئ. وهذه الصفة دمغوا بها جلده وهو يعرف ذلك. وحتى بمساعدة "كاترين" لن يتغير ذلك أبدا. الإغراء الوحيد بالمجازفة هو "مايك". إنه الشيء الحسن الوحيد الذي يمكنه أن يعيده إلى "دارك ريفر". خرجت "كاترين" أخيرا من الماء واتجهت نحو المنزل. ترك "ويليام" مكانه أمام النافذة ليذهب ويرتدي ملابسه. تساءل ماذا يرتدي الناس الطيبون في هذه البلدة صباح الأحد من أجل حضور القداس؟ ليست لديه أي فكرة.. إنه لم يحضر أبدا أي مراسم دينية.

الفصل الخامس

- هل كل الناس هنا سيذهبون إلى الكنيسة؟

بدأ "ويليام" في الندم على قبوله دعوة "كاترين" لمصاحبتهم. قال وقد بدا التجهم على وجهه:

- يمكننا أن ندخل آخر الناس ونجلس في الصف الخلفي.

ردت الخالة "فيك" وهي تقهقه:

- لقد حوصرت يا "ويليام". إن كل الأرائك حول المذبح تحمل لوحة من النحاس محفورة عليها أسماء الأعضاء المؤسسين. والأريكة المخصصة لآل "سانكلير" واضحة.

همهم من بين أسنانه وهو يراقب "كاترين" مثل الكلب الذليل:

- لقد وعدتني بأن كل شيء سيمر على ما يرام.

اعترفت دون أن تحرك شفتيها ثم قالت:

- لقد كذبت.

عندما تقدموا في الممر الرئيسي تركزت كل العيون عليهم، ورغم تردد

"ويليام" إلا أنه اعترف أنه كان فخورا بـ"مايك". وقد بدا رائعا ومعه كتاب الصلوات وقد وضعه تحت إبطه. ابتسم وفتح كتاب صلواته هو أمام دهشة "كاترين" والخالة "فيك". ورغم أنه لم يكن يعرف التراتيل الدينية إلا أنه تذكر بعض الأغاني القديمة التي كان والده يرددها خافتة عندما يكون مخمورا ويجبره على أن يرتلها معه.

عندما سمعت "كاترين" "ويليام" ينضم إليهم بصوته الجميل من طبقة البارتيون اجتاحها شعور بالفخر. هكذا هي موجودة هنا في مدينتها وكنيستها يوم أحد من أيام الصيف الممتعة وفي هذه الساعة المباركة تحيط بها كل عائلتها. هذه العاطفة ربما لن تدوم طويلا ولكن في هذه اللحظة المباركة هذه الأسرة أسرتها، وأحست بقلبها يفيض سعادة.

بعد القداس اضطروا لتحية كل أهل البلدة وكانت هناك بعض النظرات الفضولية نحو "ويليام" وبعض الابتسامات لـ"مايك". غرق الأربعة وسط بحر من الوجوه المرحبة كلها بهم وسيل من دعوات على العشاء ولعب التنس.

- لماذا لم تخبرينا يا "كاترين" أن "ويليام" عاد؟

- إن "مايك" صبي ساحر حقا. لابد أن يصبح عضوا في الكشافة.

همهم "ويليام" وهو في شدة الضيق:

- انقذيني من هذا يا "كاترين".. لدي إحساس رهيب بأنني حيوان غريب يراقبه الناس بفضول.

ابتعدت "كاترين" عن المجموعة وهي تضحك في رقة. إنها تستطيع أن تحس بيد صديقها موضوعة على كتفها في حركة تملك. قالت له:

- أنا آسفة! أنت حقا أهم حدث ملفت للنظر في البلدة.. أنت التسلية الوحيدة في البلدة.

- التسلية!

فتح لها باب سيارته الجميلة وهمس في أذنها وهي تحتل مكانها:

- تسلية.. حسنا.. ولكني أريد تسلية خاصة.

###

كان غداء يوم الأحد الديني رائعا: طيور سمينة محمرة، وحبات الذرة بالكريمة وحساء الطماطم، وخبز صنع المنزل، وعندما قدمت الخالة "فيك" الفطيرة الرئيسية رفض "ويليام" تناول أي شيء منها.

- شكرا جزيلا ولكني أعتقد انني و"كاترين" نفضل القيام بجولة بالسيارة.

صاح "مايك":

- رائع.. سأتي معكما.

تنحنحت الخالة بصوت مرتفع مما أحبط سعادة الطفل فقال:

- أوه.. لقد نسيت. لابد أن نقوم بشيء أنا والخالة "فيك".

أعلن "ويليام":

- ممتاز. لأن عندنا موعدا.

نهض بسرعة من أمام المائدة، ووجدت "كاترين" صعوبة في أن تسترد نفسها من المفاجأة وسألته:

- حقا؟ أين؟

- أنت تعرفين جيدا...

أكملت الخالة "فيك" بكل سرور:

- العثور على الخريطة التي يحتفظ بها العجوز "صامويل" بين أوراقه.

- نعم.. الخريطة. لقد نسيت أن أخبرك أن الخالة "فيك" أعطتني خريطة فريدة وقديمة جدا وأنت تستعدين للخروج إلى القداس وقد تبين بوضوح فيها بيع أراض خاصة بعائلة "دارك".

أجابته "كاترين" في غموض وهي غير مهتمة:

- أحقا ما تقول؟

رفعت المائدة بسرعة وهي تقول لنفسها إن حكاية الأرض هذه توضح أن "ويليام" سيقبل بسهولة العودة إلى "دارك ريفر".

وقفت الخالة "فيك" تسد الطريق على "كاترين" وتأخذ الأطباق من يدها قائلة:

- اتركي هذا.. سنهتم بغسل الأطباق اليوم. هيا اذهبي وبدلي ملابسك واختفي. إن أمامي أنا و"مايك" أمورا هامة نقوم بها.

خطت "كاترين" بضع خطوات نحو الباب ثم استدارت فجأة في ريبة.

- أمور جادة؟ إنني لا أحب ذلك. ما الذي تخططين له من مؤامرات؟

- أوه.. لا شيء خطير. لا تشغلي بالك.. إنه ليس أمرا من أمور الدولة.. مجرد امتداد خط سكة حديد من اجل القطار الكهربائي الفاخر الذي أهمله والدك.

صعدت "كاترين" درجتين.. إن بعض الأدوات الحديثة من القطارات ليست بالأمر الخطير. إنها تستطيع أن تعطي موافقتها عليها ولكنها كانت أكثر قلقا من نزهتها مع "ويليام".. هذا الرجل خطر.. في الليل والنهار.

###

استسلمت "كاترين" وهي تسقط نظارتها ذات الإطار الأحمر من فوق رأسها على طرف أنفها لتفحص الخريطة القديمة باهتمام زائد. خرج "ويليام" من السيارة. قالت الشابة:

- إنها تبدو مضبوطة.

- ولم لا يكون كذلك؟ إنها خريطة رسمية وقد شرحت بوضوح أن الأراضي تبدأ من الصخرة الكبرى ثم تمتد حتى قرب ما يسمى نتوء "هانجمان" والذي تحده من جنوب الغرب النهر من جديد.

قالت وهي مبهوتة:

- اسمع! حتى وإن كانت هذه الأراضي تنتمي إلى فترة المدعو "دانيال

www.rewity.com

ديفيد دارك" عام ١٧٩٠ فإن هذا لا يثبت شيئا. فمن وقتها يمكن أن تكون قد بيعت واعيد بيعها مئات المرات.

- ليست هذه القطعة! إن والدي العجوز يقسم لمن كان يستمع إليه أن هذا الطرف من الأرض ينتمي دائما للأسرة!

تقدمت "كاترين" إلى حافة الماء وجلست القرفصاء عند الضفة التي يغطيها العشب وقالت:

- وإذا كان والدك مخطئا فإنك ستصاب بالخيبة!

- يا إلهي! إنني لا أعرف عن ذلك شيئا.

ظل واقفا أمامها وقد خفض نظراته وهي ممتلئة بالعاطفة.

- كل هذا قد لا يكون إلا سرابا.. يشبه ذلك الذي أراه الآن أمام عيني.. وهذا يكفي أن يصنع مني رجلا سعيدا.

رفعت عينيها نحوه. إنه لايزال أكثر الرجال إثارة.

- إنني لا أستطيع أن أتحمل أن تصاب بالخيبة.

- كفي عن ذلك! أنا رجل الآن.. أنا موجود هنا وأنت؟ هل أنت مستعدة؟

لم تستطع أن تكتم صيحة دهشة. لم يكن ما يشير إليه يدور في رأسها.. لا.. يا إلهي! أن تعترف له بالحب.. هنا؟ ولكن لماذا تظل تكذب.. إنها لم تفكر إلا في الحب طوال الطريق وهو يقود السيارة. وفي كل مرة يجدان نفسيهما بمفردهما فإن رغبتهما العاطفية تزداد وتتضخم. نهضت واكتشفت أنها ارتكبت غلطة فقد وجدت نفسها شبه ملتصقة به.. همست بسرعة:

- هذا مستحيل يا "ويليام". ليس هنا عند ضفة النهر وفي صباح أحد مشرق حيث تعود نصف سكان البلدة الحضور للتريض بعد الغذاء.

- إذن هيا بنا إلى مكان آخر.

لم تلمسها يداه ومع ذلك ارتجفت "كاترين". كان يكفيهما أن يكونا

متقاربين كل منهما من الآخر حتى يحسا بكل الانجذاب السابق يعود إليهما. قال لها:

- خبريني! لابد أن هناك مكانا نستطيع أن نصبح فيه بمفردنا بعيدا عن العالم. أريد أن أصارحك بكل مكنونات قلبي.

- أنت تخيفني.. إن كل شيء يعود ليبدأ من جديد كما كان في الماضي. أليس كذلك؟ إنها نفس كلماتك. والتي أدت في النهاية إلى المأساة التي أعانيها.

- هل هذه إجابتك على سؤالي عن مكان ننعزل فيه عن العالم؟ هل نذهب إلى فندق؟

- أوه.. إنها نفس الكلمات. إن الأمر لم يتغير.

ضحك في رقة:

- وهل رؤية الناس لنا معا تزعجك إلى هذه الدرجة؟

تراجعت "كاترين" خطوة واستطاعت أن تتحمل بصعوبة نظراته الثاقبة وقالت:

- لابد أن أعترف بذلك. ولكن اعلم أنني لا أريد أن أقع في حبك ثانية وأنا أعرف أنك ستهجرني من جديد.

فجأة تغير الجو بينهما وتساءل "ويليام" هل يمكنه إعادة تلك العلاقة الحميمة التي كانت بينهما؟ إنه يحب أن يكون بجوارها.. بينما "كاترين" ببساطة غارقة في المشاكل إلا أنه يحس بمدى رغبتها الحقيقية.. ولكن هل يستطيع أن يأخذها بعيدا عن "دارك ريفر"؟ أم يقبل أن يظل بجوارها في مدينته الأم؟ إنه لا يستطيع الرد حقا.

خرج "ويليام" من أفكاره ووضع يده على كتفها:

- حسنا يا عزيزتي. إننا سنتغلب على هذه الصعوبة الصغيرة وسنكون في النهاية فريقا. أنا وأنت ضد المجلس البلدي! هل يعجبك هذا؟

ذهب عنها التوتر الذي كان يسيطر عليها واختفى. لقد عثرت على رجلها "ويليام" الذي يهمها اكثر من اي شيء في الحياة. لم تكن تعرف ما الذي يثير فزعها ولكنها كانت تتراجع كلما تقدم نحوها. قالت له وابتسامة واهنة على شفتيها:

- انا آسفة. انا لا يهمني ما يظنه الناس.. كل ما هناك انني اجد صعوبة في الإيمان بالمستقبل. لقد كان الأمر مختلفا فيما مضى فقد كان كل منا مجنونا بحب الآخر.

اخذ "ويليام" يحدق في الأفق وهو غاضب.

- هل تتصورين اننا لم نعد نحب بعضنا بجنون؟

- انا.. انا لا اعرف فيم افكر. كل ما اذكره هو انك هربت..

نظر إليها "ويليام" مرة ثانية في إلحاح وسالها:

- هل لاننا لن نجد مستقبلنا هنا؟

- ربما لانه لا يوجد اي مستقبل لنا.. بالطريقة التي نتصورها.

- كما تعودت الخالة "فيك" ان تقول: دعنا لا نفكر ولا نتكلم فيما لا يمكن ان يحدث ولا نضيع فكرنا فيما سيحدث لنا. هناك مسالة الأراضي والخريطة وسجلات لابد من مراجعتها...

- إن السجلات تذكر ان كل مالك وهب قطعة من اراضيه للمنفعة العامة ولمدة لا تتجاوز مائتي عام بعدها يكون للمالك الحق في استعادة هبته. ولكن إذا كانت الأرض الموهوبة غير مشغولة فلابد ان تعود إلى المالك الأصلي او على الاقل لأحد ورثته! وفي هذه الحالة التي تهمنا تعود إلى عائلة "دارك" ولا يوجد وريث على قيد الحياة بعد "مايك".

قررت "كاترين" ان تعيده ثانية إلى حدوده وسالته:

- كيف يمكن ان تكون واثقا من هذا؟ وانت لا تعرف شيئا عن موضوع "مايك".

فضل "ويليام" ان يسخر منها وقال:

- اعدك إن اردت اطفالا آخرين فإنه يسعدني ان اساعدك في ذلك وليس لي اي اطفال غير شرعيين اما عن احتمالات ارتباطات الزواج من امراة اخرى فقد قامت إحدى مساعداتي بابحاث حول الموضوع لتعرف إن كنت اصلح للزواج

- اه ها! وماذا كانت النتيجة؟

- لقد وجدت انني اصلح للزواج منها ولكني لم اوافق.

قالت تردد اغنية شهيرة تقول:

- إنهن يحبونه كلهن وهو يهجرهن.

سكتت في الحال وهي ترى مدى الالم الذي سببته له.

- انا آسفة لم اكن ارغب في قول ذلك.

- ربما ولكن الحقيقة افلتت منك.. لقد تكلم عقلك الباطن اليس كذلك؟ انت تحبين ان تكوني معي ولكنك لا تستطيعين ان تمنحيني ثقتك. انت تشكين في حدوث معاناة جديدة.. بل تنتظرينها فماذا سيحدث لو خاب ظنك؟

- لست ادري.. لم اعد اعرف شيئا. لم اكن اظن انني سارى ابني مرة ثانية. لقد كانت سعادة بالغة لدرجة انك اصبحت في الدرجة الثانية بالنسبة له.. وتسالني ان اثق بك؟ انا لم اعد أعرف لهذه الكلمات معنى، وكل ما اطلبه هو ان اتعلم.

- "كاترين"! انا آسف.. لقد كنت دائما وراءك دون توقف.. إنك فاتنة للغاية وتشبهين الملاك. إن السماء تنعكس على عينيك وتغرقاني...

- لم يبق سوى القليل وتغوص اقدامنا.

ادرك "ويليام" على حين غرة انهما قريبان من الأمواج.

- إنني استطيع الآن ان احاصرك ولن تجدي مكانا تفرين إليه ولكني لن افعل ذلك. اعرف انك في حالة صدمة عندما اهدهد ذكريات ماضينا وحبنا ولكنك هذا الصباح فاتنة جدا لدرجة إنني عندما رايتك في

www.rewity.com

مكتبك.. كان الأمر بالنسبة لي كأنه حلم.

- هذا بالضبط ما يخيفني! نحن نعيش حلما والأحلام أحيانا تنقلب إلى كوابيس.

- ليس هذا الحلم.. أؤكد لك ذلك. إنه مثل تلك الأحلام القديمة العزيزة المليئة بالعناصر الطبيعية المألوفة.

أحست بالعاطفة الجياشة تجتاحها، وأنها ليست على استعداد للمقاومة أكثر من ذلك.. إنها حتى لم تعد تفكر في حب أبدي دائم وإنما انصب همها في روعة هذه اللحظات العارضة.. إن الحب الفوار له سحره، ومن الجنون أن تضيع الفرصة فقد لا تتاح لها الفرصة مرة ثانية لأن تحس بهذه السعادة الطاغية. ودفعها "ويليام" بعيدا عن الضفة في رقة فسألته:

- إلى أين سنذهب؟

- إلى السيارة أولا قبل أن أنسى أننا في مكان عام يوم أحد بعد ظهر شهر يونيو.

حاولت أن تقاوم عندما حملها إلى السيارة المكشوفة ولكنها سرعان ما استسلمت في هذه المعركة غير المتكافئة:

- ضعني على الأرض في الحال فقد يشاهدنا الناس.

قال لها وهو يسقطها فوق المقعد الأمامي:

- حسنا.. إذا كان هذا ما تريدين.

قالت تشكو من سقوطها:

- حاذر فقد تتلف الخريطة.. إن الناس سيظنون أننا أصبنا بالجنون.

- ما عليك إلا أن تدعي أنك فركت كاحلك.. ممن أنت خائفة؟ مني؟

- لا.. وإنما أنا خائفة من نفسي.. ومن استسلامي.

- صباح الخير يا سيدة "سانكلير"!

- آه. كم هو رائع أن أراك في المكتب يا "ويلي". قالت له بصوت هامس

وهي تحتج:

- هل رأيت؟

قهقه وهو يربت على خدها:

- لقد فات الأوان. ولن نستطيع أن نتقهقر.

- بل نستطيع.. هيا انطلق بسرعة.

انهمكت في فحص الخريطة القديمة بانتباه شديد وهي تتجاهل التحيات التي يوجهها لها الناس. فجأة حبست أنفاسها ولاحظ "ويليام" ذلك فسألها:

- ماذا هناك؟

كان عقل الشابة في دوامة وغليان. إنها ليست في حاجة لأن تكون من رجال القانون لكي تعرف أن الخريطة أصلية وغير مزيفة... وتكشفت أمام عينيها الحقيقة. إن مدينة "دارك ريفر" ستواجه متاعب لا حدود لها.

- هل قلت لي يا "ويليام" إن الهبات تدور كلها حول نقطة واحدة؟

- نعم.. من الواضح أن كل مالك وهب جزءا من أراضيه لتكون أرضا لمالك واحد تقع حول "هانجمان" أما بقية أراضي "دارك ريفر" فقد ضاعت بواسطة الأسرة عبر القرون على ما أظن.

- لقد فهمت..

- ولكن ما الذي حدث يا "كاترين"؟ إن من يراك يظن أنك شاهدت شبحا!

قالت وهي تستند على باب السيارة من الداخل:

- أوه.. لا شيء. ما الذي تنوي أن تفعله لو تبين أن هذه الخريطة حقيقية؟

- أفعل؟ لست أدري شيئا.

- هل ستطالب بالقطعة طبقا لأحقيتك فيها لو صدقت الخريطة؟ لقد

انقضى القرنان من عام ١٧٩٠ إلى ١٩٩٠.

انفجر "ويليام" ضاحكا واقترب منها قائلا:

- ربما اطلب من المستأجر الحالي أن يتركها ويرحل وأبني منزلا لطيفا صغيرا. ما رأيك؟

قالت بصوت متقطع:

- ولكن... تصور أن الأرض لا يسمح بالبناء فيها.

- لا منزل؟ ليست لذلك أهمية. إن أبي هو الذي كان سيضحك لو اكتشف ذلك. إن كون آل "دارك" اشتركوا في إنشاء البلدة وبنائها... يمكنني أن انشئ شيئا آخر.. مبنى إداريا محليا أو مصنع لعب مثلا... من أجل "فيك" و"مايك"...

- كف عن الهذر فالأمر ليس هزلا. لابد أن أقول لك إن هذه الخريطة حقيقية وموثقة وجزء الأرض المشار إليه والذي تملكه مبني عليه المركز التجاري.

- هل هذه مزحة؟

- للأسف لا.. إنها تشمل أيضا المكان الذي يحتله مبنى العمودية الآن... الذي تحدثنا عنه بالأمس كما تعلم.. والشارع الذي ولدت فيه.

- حسنا. ما رأيك في ذلك؟ لدي إحساس أن المجلس المحلي عليه مواجهة "ويليام دارك" سواء رضي أم لم يرض.

هزت رأسها موافقة ثم امرته بلهجة العمدة التي تعودت عليها أن يرافقها إلى بيتها.

###

- ما الذي تعرفينه عن تاريخ أرض "هانجمان" يا خالتي "فيك"؟

كانوا جميعا يتناولون إفطارهم. ردت الخالة:

- على ما اتذكر فإن والدك حدثني في ذلك في إحدى المرات.. أثناء الاحتفال برفع الستار عن تمثال الجنرال "سانكلير".

صاح "مايك":

- الجنرال "سانكلير"؟ إنه يمثل دوره وهو في ميدان القتال الذي اقامه الحلاق.

همهمت الخالة "فيك":

- لقد روجع وصحح بواسطة السذج الحمقى. لا تنصت إليهم يا بني. إن من الجنون إعادة التاريخ.

- نعم.. ويقولون إن "دارك" الأول كان من حزب "التوري" بيع إلى الإنجليز.

قالت "كاترين":

- هذا ما يبدو لي طبيعيا بالنسبة للحقبة المذكورة لقد كان الإنجليز هنا مرتبطين جدا بالوطن الأم.

صبت "فيكتوريا" كوبا ثانية من اللبن لـ"مايك" ثم وضعت قطعة من "التوست" للتحمير وقالت:

- في الحقيقة يا "كاترين" اتعشم الا تكوني قد اتفقت على موعد يوم السبت.

- لماذا؟

- إن "مايك" مدعو للانضمام للكشافة. إنهم سيعسكرون بجوار النهر. لقد وعدت أن تقوما انت و"ويليام" بالإشراف عليه واردت أن اتأكد من موافقتكما.

صاحت "كاترين" في فزع:

- ما الذي فعلته؟

- لقد وعدته بأن تصحباه.

وافق "ويليام" في حماس:

- ممتاز! انا واثق من أن "كاترين" مسرورة بشدة.

- لا تقلقا إننا الاثنان فسيكون هناك بالغون آخرون غيركما.

انتزعت الملحوظة الأخيرة صيحة ياس من الشاب. أما بالنسبة لـ"كاترين" فقد تجهمت وقالت بلهجة غاضبة:

- لقد كنت أعتقد أن الكشافة من أعمال الرجال!

قالت الخالة "فيك" في ثقة:

- ليس في أيامنا هذه.. يبدو أنه ستكون هناك ثلاث شابات من بينهم.. أليس كذلك يا "مايك"؟

- إيه.. حسنا.. ليس الأمر كبيرا. أنا لم أذهب إلى المدرسة منذ وقت طويل ولا أعرف أحدا..

صاحت الخالة "فيك":

- إنك ستنسجم كثيرا معهم.

كادت "كاترين" تنفجر غضبا ودفعت مقعدها للخلف وهي تبدي حاجتها للذهاب حتى تحمي ابنها وأن تأخذه بين ذراعيها. سألته في قلق:

- هل قالوا لك شيئا سيئا وقاسيا يا عزيزي؟ صحيح أنه ليس لديك أصدقاء، وكنت أظن أنك تحب أن تظل وحيدا!

- لقد سألوني حول موضوع أبي وأمي.. وقلت إنهما ماتا في حادث سيارة.. ولكن الأمر قاس عندما يتناقش الآخرون حول عائلاتهم..

أحست "كاترين" بأنها تجمدت من رأسها إلى أخمص قدميها.. أحست بمدى وحدته وإحباطه وهو نفس إحساسها حيث قررت ألا تحتضنه إلا كحاضنة وكفيلة قانونا.. كم كانت مخطئة في ذلك. قالت في لهجة مرحة قدر المستطاع:

- إن معسكر الكشافة هذا يبدو أمرا جميلا! وهكذا يمكننا بعده أن ندعو بعض زملائك للحضور والسباحة في حمام السباحة واللعب بالقطار. هل تعتقد أنهم سيحبون ذلك؟

- نعم.. إن الأمر سيكون مسليا. تستطيع الخالة "فيك" أن تصارع

"جوي هيتون". إنه يقول إنه لا يهزم في ألعاب الفيديو.. وهذا ما سنراه!

قالت "فيكتوريا":

- هل تراهن؟

قال "ويليام":

- موافق على أن أصبح مرافقا... أرجو المعذرة لأنه لابد لي أن أذهب إلى المدينة وإذا قبلتم فإنني أدعوكم للعشاء في مطعم الفندق.

وافق الثلاثة. سأل "مايك" عندما رحل "ويليام":

- يبدو أن الممثلين عند الحلاق لا يحبون "ويليام" كثيرا يا "كاترين".. هل تظنين ذلك؟

تدخلت الخالة "فيك" كالعادة:

- إن ذلك بسبب الغيرة.. لأنه نجح نجاحا باهرا وكان الآخرى أن يعملوا قليلا بدلا من اللعب في أدوار ممثلين هواة!

نظرت "كاترين" في ساعة يدها.. لقد تأخرت على العمل.

- لا تنصت إليهم يا "مايك". دعهم يعيشون في قرنهم الثامن عشر وألعابهم التافهة.

###

بعد ذلك بقليل وسط النهار استطاعت "كاترين" أن تسمع نفس الأقاويل وتمردت:

- "فريد"! لو سمعت مرة أخرى أحدهم يقول أشياء غير مشرفة في موضوع "ويليام دارك" فساجد نفسي مضطرة للتدخل. إننا سنوجه إليه الدعوة إلى مقر العمودية من أجل مشروع الاستزراع واللحظة ليست مناسبة حقا لزيادة الكراهية والحقد.. هذا يكفي.

همهم الحلاق "فريد":

- نعم.. أنا لا أثق في هذا الـ"ويلي".. إن والده كان يكرر كلاما بلا انقطاع و"ويليام" ليس رجلا ناصع الصفحة! وهل يمكن أن تخبريني

انك تريدين منه ان ينشئ مصنعا لن يجلب له سوى اشخاص مثل آل "دارك"؟

سمعت صوت موافقة جماعية. صاحت الشابة وقد امتلأت غضبا:

- إنني لا أصدق ما أسمعه ولكن انظر إلى عدد الأطفال والرضع الذين تراهم في الشارع هناك.

ردد الرجال في صوت واحد:

- وماذا في ذلك؟

- كيف ستتمكن هذه المدينة من الاستمرار؟ منذ عشرين عاما كانت "دارك ريفر" بلدا ممتازا من السهل الحصول فيها على عيشة رغدة.. والآن أصبحت مدينة ميتة يقطنها العجائز.. لقد هجرها كل الشباب.

اعترض "فريد" قائلا:

- اسمعي! إن عدد السكان لم ينخفض.

- طبعا لأن المحالين إلى المعاش ياتون للإقامة هنا ولا ينفقون شيئا الا ترى اننا نغوص في المستنقع؟

###

تركت "كاترين" المكان وافواه الرجال فاغرة. لابد أن يدركوا تماما أن هذه البلدة لا تعيش إلا على الضرائب والرسوم المحلية التي سيجلبها المصنع الجديد. وحتى لو أنشئ المصنع تبقى مشكلة "مايك" و"ويليام". طبعا لقد طلب منها الأخير الزواج ولكن هل كان صادقا؟ هل لايزال يحبها دائما؟ لقد كانت في موقف يدعو إلى الشك وإلا لو كان يحبها فعلا فلماذا تاخر كل هذا الوقت في الحضور والعودة؟

لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في أن "ويليام" هو الذي قام بالخطوة الأولى عندما استجاب لدعوة الخالة "فيك". والآن حان الدور عليها ومن الأفضل أن تقوم بالدور من أجل مصالح ابنها. ورغم ترددها عليها أن تقاوم هذا التردد.

تذكرت فجاة معسكر الكشافة وعشرات الصبية في التاسعة من عمرهم. عليها أن تسهر عليهم لقد شعرت كم هو صعب أن تتغلب على كل هذه الأمور لابد أن تاخذ الأمور خطوة خطوة ولتبدا بما يجب أن تعده للعشاء. فتحت خزانة ملابسها..

كانت الشابة تشعر بالإثارة الشديدة تماما مثلما أحست من سنوات طويلة مضت عندما كان "ويليام" يلقي بالحصى على نافذة غرفتها ليعلن عن وجوده، وكانت تنهب الدرج حتى تلقاه. إن "ويليام" موجود الآن أسفل البيت ولابد أن ترتدي ملابسها بعناية من أجل العشاء في مطعم الفندق. اختارت ثوبا بسيطا صيفيا من الحرير الأزرق الفاتح له فتحة صدر واسعة. ثم مشطت شعرها بقوة واخذت حقيبة يدها وهبطت الدرج ثم صاحت في خالتها:

- ولكن يا خالتي "فيك".. إنك لم ترتدي ملابسك!

كانت "فيكتوريا ويلنجهام" لاتزال بالملابس المنزلية، وهي منهمكة امام فرن المطبخ. ردت قائلة:

- أوه انا اسفة يا "كاترين"، ولكن "مايك" ليس على ما يرام وافضل ان ابقى هنا معه...

- هل اتصلت بالطبيب؟ هل يشكو من الحرارة؟

- لا.. ليس الأمر خطيرا! مجرد ضربة شمس وصداع. لقد لعب كثيرا على حافة حمام السباحة بعد ظهر اليوم. وهو في حجرته إذا أردت أن تقبليه، سأسهر عليه هذه الليلة.

صعدت "كاترين" إلى الدور الأول. وطرقت على الباب طرقة خفيفة ثم دخلت الحجرة. وقع بصرها في الحال على قطعة ورق شبه مخفاة تحت الوسادة، ثم لاحظت عدم وجود احمرار علىّ الإطلاق على وجه الصبي. فهمت المؤامرة التي حاكها مع الخالة

- لقد اخبرتني خالتك انك لست على ما يرام؟

www.rewity.com

- أوه.. نعم.. لست على ما يرام!

قالت وهي تجلس على حافة الفراش:

- فهمت.. أين تحس بالألم؟

- الألم؟ أعتقد.. أعتقد أنني أحس بمغص بمعدتي.

- هل أكلت كثيرا من الخوخ بعد ظهر اليوم؟

- نعم.. هذا هو... الخوخ.. أخشى أن الخالة "فيك" ستضطر إلى البقاء معي هذا المساء. سنشتاق إليك. ثم لقد اعتقدت أن قائمة العشاء في الفندق تحتوي على تورتة الفراولة الرائعة.

لمعت عينا الصبي حسرة ورغبة ولكن الخالة "فيك" ظهرت عند فتحة الباب وبيدها صينية:

- يا عزيزي! لقد أحضرت لك حساء الدجاج وأنت يا "كاترين". إن "ويليام" ينتظرك أسفل.

صاح الصبي:

- حساء!.. لقد ظننت أننا سنتناول "البيتزا".

نهضت "كاترين" ولكنها قبل أن تغادر الحجرة قالت بصوت منغم وساخر:

- هيا يا خالة "فيك" اذهبي لتسخني البيتزا! إنني أعرف أنها أحسن علاج ناجع للمغص الناتج من الخوخ.

ثم انفجرت ضاحكة وهي ترى الارتباك على وجه الخالة ثم هبطت الدرج. قال "ويليام":

- ها هي ذي ليلة تبدأ بطريقة ممتازة.. إنني أعشق انتظارك.. ولكن أين الآخران؟

- إن "مايك" يشكو من ألم رهيب.

سألها في انزعاج:

- هل الأمر خطير؟

- نعم.. إنهما ينتظران بفارغ الصبر رحيلنا حتى يستطيعا التهام البيتزا الشهية.

- إنني لم أفهم شيئا.

- أما أنا فقد فهمت للأسف. لقد حاك "مايك" والخالة "فيك" مؤامرة حتى يتركانا بمفردنا معا. ما رأيك في هذا؟

- سأذهب لأتمنى لهما ليلة سعيدة.

تبعته "كاترين" حتى الدهليز. في حين دخل هو الحجرة.

- لقد أخبرتني "كاترين" أنك مريض.

- نعم.. إنني أشعر بمغص في معدتي.

قالت الخالة "فيك" مصححة:

- في الحقيقة إنه يشكو من ضربة شمس.

- حسنا.. ستقولان لي الآن الحقيقة.. هيا..

قال "مايك" بشجاعة:

- اعلم يا "ويليام" أنني والخالة "فيك" نرى أن "كاترين" في حاجة إلى رجل في حياتها وأنت تبدو لنا أحسن مرشح لهذا الدور...

- هل تعتقد هذا؟ إنه أمر مثير للاهتمام...

نظر إليه "مايك" في حرج ثم قال:

- أنت تعلم أن الأمر قاس على "كاترين" أن تربيني بمفردها. ونادر وجود الرجال الذين يريدوننا معا أنا وهي. لقد تحدثت أنا والخالة "فيك" في الأمر ونعتقد أنك حتى وإن كنت مضطرا للترحال من أجل أعمالك فإن الأمر ليس خطيرا مادامت "كاترين" ستبقى هنا.

- وكيف يجب عليّ أن أتقبل هذا الإعلان؟

- أوه.. لقد فكرنا.. لأنه يبدو عليك الاهتمام بها.

أحست "كاترين" بقلبها يخونها. إنها لن تسمح لنفسها بالدخول إلى الحجرة في تلك اللحظة؛ ولذلك قررت في الحال أن تهبط الدرج في بطء

www.rewity.com

ثم انتظرت في هدوء حتى يأتي "ويليام" ليلحق بها. سألته:

- ما رأيك في ضربة الشمس التي أصابت "مايك"؟

- أعتقد أن الاثنين في غاية الدهاء.. لابد أن نراقبهما.

نظر إليها "ويليام" تحت ضوء النجوم. كان واثقا من رغبته في البقاء معها هي و"مايك". إنه سيس ي المشاكل في الحال، وهو يود من كل قلبه أن يعرف في أي شيء تفكر في هذه اللحظة وهي في العتمة إنه واثق من أنها ترغبه. حتى وإن لم يكن واثقا من أنها لازالت عاشقة له...

قالت "كاترين" بسرعة حتى توقف شرود أفكارهما:

- إنني أشعر بجوع شديد يا سيد "دارك" هل لازالت دعوتك للعشاء قائمة؟

ربت على خدها في رقة وقال:

- أتمنى لو قدمت لك عشاء قمريا مغموسا في النجوم.

حبست أنفاسها وقالت:

- لست أدري إن كان هذا العشاء كافيا.. إنني شديدة الجوع.

الفصل السادس

كان مطعم الفندق مضاء إضاءة جميلة بالشموع ذات اللهب المتذبذب والموضوعة في شمعدان فاخر من الكريستال والذي أرسل آلاف الأضواء المتلألئة عبر القاعة.

كفت أحاديث الزبائن عند وصول "كاترين" و"ويليام" اللذين أخذا مكانهما الذي أعده لهما مضيفهما والذي أشار في تصميم إلى مائدة تطل على ضفة النهر.

سرت موجة من الهمهمة والهمس وسط القاعة. قال لهما "چو" وعلى فمه ابتسامة شاحبة وهو يقدم لهما قائمة الطعام:

- أتعشم أن تعجبكما الوجبة.

صمت لحظات وكأنه يريد أن يضيف شيئا، ثم تراجع وعاد إلى المطبخ. قالت "كاترين":

- حسنا.. هذا استقبال غريب!

اعترف "ويليام" لها بعد رحيل "چو":

www.rewity.com
مـــروريـــة

- اعتقد انه لا يحبني.. إنه لايزال عاشقا لك وهذا واضح...

زفرت "كاترين" واعترفت:

- اعرف ذلك وانا آسفة لذلك.

- إنه كان دائما هكذا.. وقد نظر إلي نظرة حانقة.

- إن "چو" لطيف جدا ولكني لا احس نحوه إلا بالصداقة ولا شيء آخر. وهو يعلم تمام العلم انني عاشقة لك.

حضر "اندرو" ليقدم المشروبات وكانت عصير فراولة طازجة بناء على طلب "ويليام" ثم انتظر منهما ان يختارا قائمة الطعام

ساد القاعة جو موسيقي في نهايتها في منتهى الرقة، وسمعت ضحكة بللورية من مكان ما؛ فادركت "كاترين" انها تمسك قائمة الطعام بالمقلوب بينما ركز "ويليام" نظراته عليها تركيزا قويا لدرجة انها احست انه يستطيع ان يرى ما في اعماقها.

- هل يمكن ان تعترفي يا "كاترين سانكلير" انه لاول مرة في حياتنا نلتقي في لقاء ظريف و"ارستقراطي" وعلى مرأى ومسمع من الجميع؟

- نعم.. اعتقد.. وهل يعجبك ذلك؟

- الحقيقة إنني افضل ضفاف النهر، نتناول حلوى الزنجبيل.

- نعم.. ولكننا وسط الجمهور ومن الأفضل الا تنظر إليّ بهذه الطريقة.

- اعتقد ان من الصعب إخفاء مدى شغفي بك عن هؤلاء الناس الطيبين.. لماذا لا نكون على سجيتنا هذا المساء على الاقل؟

- نعم.. انت على حق تماما.

كانت حلبة الرقص مزدحمة جدا مما اضطر "ويليام" إلى الالتصاق بمرافقته في الرقص، وقد حمدت "كاترين" الله ان العتمة كانت تسود الحلبة حتى لا تظهر ذلك. كانت تخشى ان يرى الناس مدى الفرحة التي ظهرت على وجهها من السعادة. لقد كان "ويليام" من ابرع الراقصين

وكانا ينسابان بيسر وليونة وانسجام على الحان الموسيقى الراقصة وهو يهمس في اذنها، وعندما كفت الموسيقى عادا إلى المائدة وهمس في اذنها وهو يسحب المقعد لها لتجلس عليه.

- اعتقد ان "ويليام دارك الثالث" عاشق.

قالت له بصوت خالي النبرات:

- أحقا ما تقول؟

- لدي إحساس انني في الخامسة عشرة من عمري.. لا ليس هذا ما قصدته.. لنقل سبعة عشر عاما.. وانت؟

إنه لا يبدو في السابعة عشرة بعد ان خط الشيب شعره وظهرت بعض التجاعيد عند ركني عينيه. لقد كان يبدو في مظهر الرجل الذي تتمناه كل النساء.

لابد ان تطرد تلك الأفكار المخيفة والشك الرهيب وتتمتع بهذه الأمسية الرائعة. سالته:

- الايزال معك ذلك الخاتم من أيام الجامعة؟

- آسف يا أميرتي! انا لم ارتد هذه التقليعة ابدا.. ولكن هذا ربما يقوم بالمهمة.

اخذ الحلقة الفضية التي تضم الفوطة وامسك بيد "كاترين" في يده. ثم قالت:

- ربما كانت واسعة بعض الشيء.

- لا.. إنها كافية لتضم كل الأصابع! إنني اريد يدك...

امسك الحلقة الفضية ثم رفعها إلى شفتيه وقال:

- رسميا!

قالت وقد تركت يدها له:

- وأمام كل الناس!

- نعم وهذا لا يزعجني. هل يزعجك؟

- انا ايضا لا يزعجني ولكن هناك أمرا يا "ويليام".

- ماذا؟

- إن "اندرو" ينتظر أوامر الطعام!

قال "ويليام" موجها الحديث للساقي:

- انصحك يا "اندرو" أن تعود إلى المطبخ ثم تختار بدلا منا ما يعجبك.

ثم وجه الحديث بعد ذلك إلى "كاترين".

- إلى أين وصلنا؟ إنني أكره المقاطعة من أجل أمور تافهة... مفهوم؟

همهم الساقي وهو يهرب بجلده:

- مفهوم يا سيدي!

قال "ويليام" وهو يدس شيئا في يد الساقي:

- هناك أمر آخر.. هل يمكنك أن تنفذ هذا؟

- بالتأكيد يا سيدي.. تحت أمرك يا سيدي!

سالته "كاترين" في فضول:

- ما الذي أعطيته له؟

- ليس هذا مما يهمك يا عزيزتي.. هذا المساء لي ولك.. هل تقبلين أن تلبسي خاتمي؟ البقية تاتي فيما بعد. هل أنت سعيدة؟

- نعم.. إنها سعيدة.. إنها ليلة غير عادية.. لم تكن تحلم بها. إنه لون من ألوان الخيال أن تكون هكذا مع "ويليام" والخيال دائما له نهاية..

ورغم محاولاتها اليائسة كانت تعلم أنه يحس باضطرابها.. سألها:

- ماذا هناك أيضا يا أميرتي؟

- لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.. إن ما سياتي فيما بعد هو الذي يزعجني.

- اهدئي! هذه الأمسية ملكنا. إننا سنبني من جديد ما هدمناه.. أعدك بذلك.

وهذا ما فعلاه. أكلا ورقصا، وتناقشا ساعات وساعات طوالا. وفي لحظة اقترب "چو" من مائدتهما ووقف أمامهما بلا حركة وأخذ يتنحنح ليسلك حلقه:

- أسف يا صديقيّ، ولكن لم يعد هناك أحد.. لقد غادر الجميع القاعة ولابد من إعادة ترتيبها.

نظرت "كاترين" فيما حولها في دهشة.. كانت الشموع قد انطفأت ورفعت الموائد من أماكنها ثم أعيدت ثانية من أجل اليوم التالي. ولم يبق سواهما في أكثر أركان المطعم عتمة. قالت:

- أسفة يا "چو" لم أكن أحس أننا نمنعك من إغلاق المطعم.

نهض "ويليام" ودفع الحساب. ثم أمسك "كاترين" من كتفها وتبع "چو" إلى الباب ثم قال:

- شكرا على كل شيء.

رد صاحب المطعم وهو يناوله كيسا من الورق يصدر صوتا غريبا.

- لقد أخبرني "اندرو" بأنك طلبت هذا.

سار الاثنان بطول النهر تحت ضوء النجوم، همست:

- شكرا على هذه الأمسية الرائعة.

- كأنك تقولين "تصبح على خير" ولكنك لم تشاهدي كل شيء.

ساعدها على صعود السيارة في رقة وقال:

- أوه.. يا إلهي! لقد تمنيت تلك اللحظات طوال السهرة.. أن نبقى بمفردنا.. إن وجودي وسط الجمهور هو الجحيم بعينه.. لم أكن أعرف كم اشتقت إليك.. وأنا أسف يا حياتي.

- ليس هناك ما يدعو للأسف يا "ويليام".

- بل هناك سبب للأسف.. لقد كنت دائما موجودة بجواري عندما أحتاج إليك.. أما أنا فقد هجرتك.

- ولكنك عدت عندما عرفت أنني في حاجة للمساعدة وهكذا تساوينا

www.rewity.com

الآن.

- اتعشم ذلك.. ولكن لدي إحساسا انك لست مستعدة لنسيان كل شيء بسهولة.

- دعنا لا نبالغ! الآن اعتبر نفسي خطيبتك. أرته يدها وأصابعها سجينة الحلقة الفضية صاح:

- هل سرقت الفوطة؟ هل ساتزوج من لصة؟

- اتعشم الا تمنعك هذه المخالفة البسيطة.. هل تعتقد أن "چو" سيقدم شكوى ضدي؟

- إن "چو" يتمنى أن يمنحك مطعمه وليس فوطة.

وضع "ويليام" الكيس الورقي الذي كان لايزال يحمله على الأريكة الخلفية للسيارة ونظر إلى "كاترين" في تردد، وهو يسير بالسيارة إلى الخلف.

- لقد ادرت عقلي لدرجة انني لست متاكدا من الطريق الذي علىّ أن اتبعه.. إنني أخشى أن أرتكب غلطة أخرى.

- هذه المرة سارشدك وابقى بجوارك.

- هل هذا وعد؟

في هذه اللحظة طارت كل شكوكها وكان ذلك قد حدث بفعل السحر. إنها تحبه تماما وبكل قواها وكيانها وهذا الحب يجب أن يكون أساس حياتها في المستقبل. لقد تصرفت كالعمياء في المرة الأولى ولكنها الآن تختار طريقها بكل روحها وقلبها. ردت:

- أعدك بذلك يا "ويليام".

- إنه منتصف الليل تماما.

تمطت فوق مقعدها ولفحها حر الصيف فاطار شعرها الرائع الأشقر ولمست إحدى خصلاته خد "ويليام"، فاعتذرت واعادت شعرها إلى الخلف ورد عليها:

- لا.. إنني أحب ملمس شعرك.. دعيه يتطاير.

وضعت يدها على ذراعه، وسالته في دهشة:

- هل تحس بالبرد؟

- لا طبعا إنني اشعر بالنار.

ابتسمت "كاترين" واسندت راسها على كتفه.. إنها تفهم وتحس نفس الإحساس نحوه.. إحساس بالسعادة اللانهائية. كان القمر عاليا فوق راسيهما، يغمرهما بضوئه الفضي، وسط المناظر الطبيعية، واحست بانهما وحيدان وسط الطبيعة الهادئة. وقفت السيارة على بعد من ضفة النهر، وأخرج "ويليام" من حقيبتها الخلفية غطاء ثم فتح الباب ليساعد الراكبة على الهبوط قائلا:

- هل تتفضلين يا أميرتي؟

- أتفضل بماذا؟

- أن تسيري تحت القمر.. معي.. كما كان يحدث في الماضي.

- نعم سافعل.

أمسكت بيده وتبعته في مرح وخفة على طول الضفة.. همهمت وهي مبهورة:

- لم يتغير شيء.

وقفا تحت ظل الشجر البلوط المعمرة وقد تدلت أفرعها على شكل سلسلة وخلفهما كانا يسمعان صوت خرير الماء. قال لها:

- تعالي اجلسي يا عزيزتي.

فرد الغطاء على الأرض وانتظرها في العتمة، فجاة أحست "كاترين" بالخجل وعدم الاتزان، مع أنهما في مكانهما السري الذي أخفيا فيه حبهما عن العالم أجمع.. طفلان يبحثان عن الحب الذي لا يجدانه في منزليهما غير عابئين بان والد "ويليام" سكير عربيد بينما والدها لا يهتم بها. لقد واجها العواصف.

هذا المساء جرى كل شيء على ما يرام، فلماذا إذن هذا الشعور بالخجل المفاجئ؟ إنها مع "ويليام" حبيبها الذي عاد عندما احتاجت إليه. لقد كان على حق عندما عاد فهي بلاشك تحتاج إليه.

- ماذا هناك؟ هل أنت نادمة؟

- نادمة على أن أكون معك؟ أوه.. لا.. مجرد قلق دائم بشان المستقبل.

القت بنفسها على الغطاء وقال لها:

- حاولي ألا تفكري في الأمر.. وتذكري أننا كدنا أن نفقد كل شيء، وأننا في سبيلنا لنبدأ كل شيء من جديد.. وهذه المرة نعرف القضية خاصة فيما يخص صغيرنا.

فتح كيس الورق وأخرج شيئا وضعه في يدها في رقة.. كان مثلجا.. كانت شوكولاتة مثلجة.

- هل انت مجنون.. شوكولاتة مثلجة كما كان يحدث فيما مضى.

- هذا ليس كل شيء.

وضع بجواره علبة كوكا من الصفيح فصاحت:

- أوه يا "ويليام"! كيف! استطعت أن تفعل؟ إن "جو" لا يبيع الجيلاتي ولا الكوكاكولا...

- لا.. لقد اضطر "اندرو" إلى شرائها من السوبر ماركت في نهاية الطريق.

غرقت الشابة في سحر الذكريات.. كل شيء عاد كما كان في الماضي.. في روعة.. لم تعد تساورها الشكوك.. تمددت على الغطاء مسترخية. سألها في رقة:

- هل تذكرين أول مرة؟

أجابته وعيناها مغمضتان:

- أول مرة أتينا فيها إلى هنا أم أول مرة اعترفنا فيها بحبنا؟

- أول مرة كنت ممددة وقريبة مني هكذا؟

- نعم أذكر.. وظننت أنني سأموت.

- لقد كنت أسمع ضربات قلبك وكأنها ضربات عصفور مذعور.. لا.. لم يتغير شيء...

كانت أول من استردت روحها وهي مندهشة مما تشعر به اليوم.. لقد انتظر "ويليام" عشر سنوات حتى يعود إلى هذه اللحظة.. إنه لن يستطيع أن يهجرها هكذا كما حدث أول مرة.. قال لها:

- ها نحن معا.. كما كان من الواجب أن يكون عليه الحال منذ عشر سنوات... ومن المؤسف أن الناس كلهم لا يعرفون سرنا.

- أي سر تقصد؟

- أقصد عشقنا للجيلاتي والكوكاكولا.. لابد أن يهتم بهذه الظاهرة العلماء المتخصصون.. أليس كذلك؟

- هل تقصد الباحثين أم الهيئات الطبية؟

###

عند عودتهما كان البيت الكبير غارقا في الظلام التام بينما خطوط شاحبة تظهر عند الأفق، في حين صوت أغنية الصباح من البلابل تملأ الجو، عندما وقفت السيارة، التصق "ويليام" بالشابة. وكان هناك شيء يائس في حركاته، وكأنه يخشى ما وراء الباب.. وأن يفقدها إلى الأبد. قال متضرعا:

- تعالي معي إلى بيت الضيافة.

- لا نستطيع أن نفعل ذلك. ماذا يظن "مايك"؟

- إن "مايك" ينام مع "فيك" في القصر الرئيسي.. لماذا. في رأيك اخترعت قصة ضربة الشمس هذه؟ حتى نصبح بمفردنا.. أليس كذلك؟

- ولكننا كنا بمفردنا فعلا جزءا من الليل"

- نعم.. بطريقة خفية...

رفع ذقنها حتى يستطيع أن يقرأ ما في أعماق عينيها، واكتشف أن

كلماته الأخيرة أحدثت تأثيرها.

- هل ترغب أن تظهر أمام "مايك" ما يؤثر فيه؟

- بطريقة عادية كما يفعل كل الوالدين عندما يتحابان ويحبان طفلهما.

- إن "مايك" يجهل أننا والداه.. ثم إننا لسنا متزوجين.

- يمكن تدبير هذا الأمر وتسويته. إذا تزوجنا فإن المشاكل ستختفي من تلقاء نفسها. نحن مرتبطان كل منا بالآخر يا عزيزتي.. لقد كنا هكذا دائما. أليس كذلك؟

اجتاحت "كاترين" رغبة مفاجئة في أن تصيح "نعم". وأنا أصدقك وأنك لن تهجرني ثانية.. لا بل إنك ستهجرني والمسألة مسألة وقت فقط.

هزتها رجفة من رأسها لقدميها وابتعدت عنه.

- لا مجال للنقاش في ذلك... لنتقدم خطوة بخطوة.. لقد تأخر الوقت ومن الأفضل أن أعود.

سألها وهو لايزال مختفيا وسط العتمة:

- هل أعتبر هذا رفضا؟

- لنقل.. إنني أحتفظ بالرد.. اذهب لتنام يا "ويليام"! إنني سأعمل غدا.

- إذن سأظل أتمسك بالأمل. تصبحين على خير يا "كاتي".. سأحلم بك.

"سأحلم بك".. إنها نفس الكلمات.. كلمات الماضي "كاتي" أنت وأنا.. ولكنه نسي أن يقول "أحبك".

قال معترفا لها:

- إن جيوبي مليئة بالحصى.

- أوه.. وماذا ستفعل بالحصى؟

- سألقي بها على نافذتك حتى تردي علي.

- إن رغبتي أشد من رغبتك في ألا تنتهي هذه الليلة.. ولكني لا أشعر بالارتياح هنا.

- الحق معك يا أميرة.. إنني أفهم ذلك... ولهذا سنقوم بالجلوس تحت ضوء القمر لنأخذ حماما قمريا.

صاحت في دهشة:

- حماما قمريا.. لا أحد مثلك فكر في هذا.

- لا أظن فعلا أن هناك من فكر في ذلك.. إنها فكرة جاءت عفو الخاطر.

كل ما تذكره بعد ذلك هو نجمة صغيرة ووحيدة تضوي في السماء وهو يتمنى لها ليلة سعيدة.

###

مرت بقية الأسبوع في همسات خفية ولمسات حب تدهش الغرباء. كان من الصعب تحديد من من الأربعة أكثر صبيانية في تصرفاته، ومن منهم يحاول إعداد مفاجآت تدهش الآخرين.

أحس "ويليام" و"كاترين" و"مايك" بالسعادة وهم معا، وبدأ الطفل شيئا فشيئا يشكل جزءا رئيسيا في حياتهما.. لقد كان قريبا جدا منهما، وفي صباح يوم ما و"ويليام" مشغول سأل "كاترين" إن كان يستطيع أن يذهب معها ليعمل. وقد سعدت الشابة بذلك. وقالت:

- إنها فكرة رائعة.. فعلا أنا محتاجة للمساعدة.

صاح الصبي في غبطة:

- أحقا ما تقولين؟ أنا وأنت فقط؟ ولن أنتظرك في الحديقة؟

- يا لها من فكرة رائعة.. هيا انته من إفطارك بسرعة. سألت الخالة "فيك":

- ما الذي تنوي أن تفعله اليوم يا "ويليام"؟

- لقد حققت اكتشافات مثيرة حول الأراضي التي تخص في الأصل أسرتي. وتلزمني معلومات دقيقة وسأسرع إلى المدينة لأحصل عليها.

- أتعشم ألا تصاب بالخيبة. إن ماضي هذه البلدة غامض وغير سار.

- أنا واثق مما أفعله وأحققه وإن لم أكن واثقا من السكان.. لقد علمت مؤخرا أنه يجب عدم الانخداع بالظاهر.

www.rewity.com

أحست "كاترين" بأن نظراته الثقيلة تتركز عليها وحدجته في تساؤل.. منذ فترة لم يعودا في حاجة إلى الكلام فهما يعرفان الإجابات.. كانت عيونهما تتلاقى وتتشابك وكل شيء حولهما يختفي بفعل السحر.. ابتسمت.. وابتسم هو أيضا.

سألت الخالة "فيك":

- هل تريد يا عزيزي "مايك" أن تساعدني في رفع المائدة؟ إن هذين الشخصين لايزالان في ملكوتهما!

نظر إليها الصبي نظرة استغراب وقال:

- نعم.. لدي إحساس بذلك.

###

بعد نصف ساعة كانت السيارة تقل "مايك" و"كاترين" نحو بلدة طريق "ريفر" وسألته:

- هل تحب أن تشاهد البيت الذي نشأ فيه "ويليام" عندما كان في مثل سنك؟

غادرت الطريق العمومي وبعد دقائق ظهر وسط أشجار البلوط المعمرة بيت صغير وقديم جدا. أبطلت المحرك سألها "مايك" غير مصدق وهو يرى حالة الدار البائسة.

- هل كان "ويليام" يسكن هنا؟

- نعم.. بالتأكيد.

- لابد أنه كان بحالة حسنة وقتها.. أليس كذلك؟

اعترفت "كاترين":

- أحسن بكثير، لقد كان والده شخصا لطيفا ولكنه كان يحتسي الشراب كثيرا.. والناس يحكون أنه فقد زوجته التي أحبها. وأنه لم يشف من الصدمة أبدا. لم يعرف أحد زوجة "صامويل" وأم "ويليام" ولكني أستطيع أن أخبرك أن السيد "دارك" لم يعرف أبدا كيف يهتم بابنه ويعنى به؛ ولهذا أراد "ويليام" أن ينجح في الحياة إلى هذه الدرجة.

قال "مايك" بمرح:

- كان بإمكان والده أن يعرضه للتبني مثلي.

- إنه لم يكن يريد ذلك.

- ربما لم يكن يحبني مثلما أحبتني أمي...

ما الذي يعنيه "مايك" بقوله هذا؟ ما هي الفكرة التي دعتها لأن تصحبه إلى هذا المكان؟ لا شك أنها كانت تعتقد أن "ويليام" عاجز عن أن يخبره عن طفولته هو... نظر "مايك" مرة ثانية إلى البيت وهز رأسه وقال:

- ربما لهذا السبب أراد "ويليام" أن يجوب العالم بشغف.. لماذا سيذهب إلى "السعودية"؟

- هل أخبرك متى يرحل؟

- أعتقد أنه لم تعد لديه رغبة في الذهاب إليها إنه يفضل البقاء هنا. أما أبي فلم يكن يذهب إلا إلى المحل.. ولم يذهب بعيدا أبدا.

- اعلم أن بعض الآباء مضطرون للترحال حتى وإن لم يحبوا ذلك.

- نعم.. لو كان "ويليام" أبي ربما فهمت ذلك.. ولكني لم أخبرك بما أحبه يا "كاترين".. لقد حضرت لأخذي عندما مات أبي وأمي.. هل كنت تعرفين أمي الحقيقية؟ أعني عندما كانت صغيرة؟

ردت عليه دون تردد:

- نعم لقد كنت أعرفها جيدا.

- هل كانت تسكن منزلا صغيرا كهذا؟

بالتأكيد لم يكن القصر الريفي لآل "سانكلير" يشبه هذا الكوخ المتداعي ولكن هل غير هذا أي شيء في حياتها؟ هي أيضا عاشت الحياة وحيدة. ربما حان الوقت لتعترف لهذا الطفل. ألم تقده إلى ذلك دون شعور؟ قالت:

- لا.. أمك الحقيقية لم تكن تسكن مثل هذه الدار لقد كان والدها أكثر ثراء ولكنه لم يكن يهتم بها أيضا.. لقد كانت وحيدة وتعسة للغاية.

- لماذا؟

كان السؤال بسيطا والإجابة لم تكن كذلك.

- أعتقد أن المكان الذي كنا نعيش فيه ونحن صغار ليس له أي أهمية. وإنما الحب الذي نتلقاه فيه هو المهم. لقد تعلمت أمك هذا يا عزيزي ولما كان والدك قد رحل وهي لا تستطيع أن تقدم لك دارا مليئة بالحب فهي.. عثرت على الأشخاص الرائعين.. والديك بالتبني.

- ولكن كيف أمكن لأبي أن يهجرها؟

- لقد كان يظن أنه لا يستطيع أن يقدم الحياة التي تستحقها.. لذلك فضل الرحيل.

- وتركني؟

- لم يكن يعلم وقتها بوجودك يا عزيزي. وأنا واثقة أنه في يوم من الأيام سيأتي لأخذك. وتذكر شيئا وهو أن أمك كانت تحبك.

لم يعد هناك أمامها سوى الانتظار. وسيعلم "مايك" الحقيقة في يوم من الأيام وسيشرح له "ويليام" البقية. ما الذي سيقوله عندما يعرف أن "كاترين" هي أمه؟ وأنها هجرته؟ ربما سيذهب ليعيش مع "ويليام"... إنها لن تتحمل ذلك.. أعادت تشغيل المحرك في غضب وقالت:

- من الأفضل أن نذهب لنعمل.. هناك شخص سيحضر لي كتابا في المكتب.. هل يضايقك لو ذهبنا لنلقي نظرة عليه؟

ردد دون حماس:

- كتاب؟

- ولكنه كتاب غير عادي يا "مايك".. إنه تسجيل للوقائع اليومية، سجلها شخص أثناء الثورة حول كل ما جرى في "دارك ريفر"، وعندما تنتهي منه يمكنك أن تذهب إلى هؤلاء البله الممثلين الذين يلعبون دور الحرب عند الحلاق، وستكون لديك معلومات عن معركة "النهر الأسود"

- نعم.. إنه أمر مثير..

الفصل السابع

سألها "مايك":

- من صاحب هذه اليوميات إذن؟

- إنه "چو هول" صاحب الفندق وهو الذي أعطاه لي.. أنت تعرفه؟ لقد أسست أسرته مع أسرتي مدينة "دارك ريفر". لقد قصصت عليه أن "ويليام" يقوم بأبحاث حول الأصول، وقد اتصل بي تليفونيا أمس ليخبرني أنه وجد وسط أوراق الأسرة نسخة من اليوميات الخاصة بجد جدته لأمه وتعود النسخة إلى مائتي عام مضت على الأقل وهذا ربما سيساعد "ويليام".

- أتقولين أن اسمه "ذكريات امرأة"؟ على ما أعلم فإن النساء لا يشتركن في الحرب...

- لا أعتقد ذلك. ولكني شخصيا أعشق قراءة ما كتبته "إميليا إيرهارت". ألم يسبق لك أن سمعت عن "وردة طوكيو" أو "آن بوتي"؟

- لا.. من هم؟

www.rewity.com

بدأت "كاترين" تحكي له عن المكانة التي استطاعت النساء أن يحتللنها في التاريخ.. تاريخ بلدتها.

صاح "مايك":

- أنت قوية جدا رغم أنك فتاة! لقد كانت أمي تحدثني دائما وكانني صبي. لقد كانت ناظرة مدرسة.. كما تعلمين..

- نعم أعرف.. لابد أنك مشتاق إليها بفظاعة.

- نعم.. ولكني أحبك كثيرا وكذلك الخالة "فيك"... و"ويليام".

كان الطفل يحبها جدا وقد رنت تلك الكلمات في أذنها وتمنت لودام الحال هكذا، وأن يجتمعا معا إلى الأبد.

وصلت إلى مكتبها وناولتها السكرتيرة "تذكريات "إميليا" التي أحضرها "جو". أجلست "كاترين" "مايك" في قاعة المجلس وهي تطلب منه العناية بقراءة المجلد القديم ثم تركته وأغلقت الباب. سألت السكرتيرة:

- أخبريني يا "نانسي".. ماذا تعرفين عن معسكر الكشافة الذي تم في عطلة نهاية الأسبوع؟ وهل هي فكرتك بالمصادفة؟

- لماذا؟ هل تريدين الذهاب إلى هناك؟

- لقد حاصرتني الخالة "فيك" وأوقعتني في الفخ.

- إنني لا أتصور عمدتنا تشترك في مثل هذه الأنشطة، وأن تسيري بالقارب تحت الأشجار.

- ولكن التجديف تحت الأشجار ليس غريبا علي.. ما الذي ستفعلون أيضا؟

- النوم على الأرض مثلا.

تذكرت "كاترين" عطلة نهاية الأسبوع واحمر وجهها خجلا.. أن تنام على الأرض! ولكن هذا ما فعلته مرات عديدة. قالت "نانسي" في تهكم:

- في أكياس النوم.. أو داخل الخيام.

- وماذا أيضا؟

- ليس هناك شيء مخصوص! منع الأطفال من الاقتتال بتكليفهم بترتيب حوائجهم.. أعتقد أنك تريدين اصطحاب "مايك" إلى هناك؟

- نعم.. أعتقد أن من الضروري أن أشركه في الأنشطة الصيفية، وتشجيعه على اللقاء مع أطفال في سنه، والمشكلة هي أن الخالة "فيك" دعت "ويليام" للذهاب إلى المعسكر أيضا.

- أوه.. فهمت! إحدى مؤامراتها.. أعرف أنها ستحاول تعجيل الأمور إذا لم تفعلي شيئا.

- ماذا تقصدين؟ لا داعي للف والدوران.. هيا قولي.

- إنه من الأحسن أن ترتبطا أنت و"ويليام" من جديد، ولكن من الواضح أنك لن تتقدمي كثيرا دون مساعدة خالتك. أنت سانجة أكثر من اللازم.

- دعيني أقول لك يا "نانسي كريستوفر" إنني قادرة تماما على وضع خططي الإستراتيجية بنفسي وإذا أردت "ويليام دارك" فساحصل عليه.

- بلا شك. ولكنك لست سريعة وحسب ما سمعته لم يعد هناك سوى أسبوعين حتى تصلي إلى غايتك.

- ماذا تقصدين؟

- حسنا! ربما كان الأمر مجرد إشاعة ولكن حسب أقوال "ماري مانلي" في وكالة السفريات فإن صديقك "ويليام" حجز لأول يوليو. إذن إذا كنت ترغبين في الاحتفاظ به فعليك العمل بسرعة رحلة طيران.

ما هي المشكلة؟ إنها تعرف بالتأكيد أنه مضطر للسفر إلى "السعودية".. لقد كانت دائما تعرف ذلك. ثم إنه سيعود... قالت:

- نعم أعرف ذلك. وسيعود فور انتهائه.

- ربما.. ولكنه حجز تذكرتين.. للذهاب فقط من سيصحب معه؟

ظلت "كاترين" بلا صوت. تذكرتا ذهاب فقط؟ المصيبة أنه قد يسافر مع

"مايك". لا.. هذا لا معنى له على الإطلاق.. الحقيقة الوحيدة التي برزت أمام عينيها انه ليس لديه نية العودة.

- يا إلهي يا "كاترين" خذي نفسا عميقا فانت شاحبة.

قالت الشابة وهي تهرب إلى مكتبها:

- لا باس.. كل شيء على ما يرام.

سيرحل "ويليام" دون حتى أن يناقش الأمر معها وحبهما الرائع.. لن يفعل شيئا وإنما سيرحل.

كان من المؤكد من البداية انه حذرها انه تبقى أمامه عوالم اخرى عليه أن يغزوها... إن مدينته الأم لم تفعل شيئا لاستقباله وإجباره على البقاء وإرساء مستقبل له ولكنها كانت قد ظنت أن وجود "مايك" يكفي ليغير رأيه. يبدو أن "ويليام" كان متمسكا بدور الأب والعيش كإنسان بالغ وناضج ومسؤول ومهتم بابنهما.

إنها لازالت تذكر كل لحظات الحب والسعادة المتروكة بعيدا عن الأعين خاصة في الليالي التي تضيئها النجوم وإذا كان "ويليام" لم يقل شيئا فإنما لانه لا يريد منها أن تعرف.. أن شيئا لم يتغير.. لقد هجرها مرة ليصبح غنيا ومشهورا وهو على استعداد لإعادة الكرة.. إن العالم الخارجي يجذبه، وهي و"مايك" ياتيان في المرتبة الثانية.

مرت بقية الفترة الصباحية كالحلم وحتى اكتشافات "مايك" المثيرة لم تستطع أن تهدئ من يأسها وقنوطها. صاح الصبي:

- انظري هنا يا "كاترين".. إنه يتحدث عن شخص ما اسمه القبطان "دارك".. لقد كان بطلا ومواطنا صالحا وقد حارب الإنجليز! وتصوري إنه كان يسكن بالقرب من النهر.

أجبرت نفسها على الإنصات إليه وذهنها شارد بعيدا. همهمت وهي لا تعير الخبر ادنى انتباه:

- لا شك انه واحد من عائلة "ويليام".

- ويتحدث أيضا عن شخص ما اسمه "شوت جن سانكلير". هل هو من عائلتك؟

- نعم في الحقيقة.

- ولكن انظري من فضلك.. هناك كلمة أجد صعوبة في فهمها وهي الإعدام بدون محاكمة قانونية؟

وضعت "كاترين" الأوراق التي كانت ممسكة بها جانبا وجلست بجوار الصبي وهي تحاول يائسة أن تهتم بما يقوله.

###

بعد نصف ساعة وضعت "كاترين" اليوميات الخاصة على المائدة وهي مهمومة تماما. إن هذا المستند مملوء بالمعلومات والتفاصيل ويثبت أن ما اكتشفه "ويليام" مؤخرا صحيح تماما، ويشكل أيضا كارثة لبلدة "دارك ريفر".

- أسرعي يا "كاترين". إنني متلهف على مقابلة "ويليام" لاحكي له أن "شوت جن سانكلير" كان في الحقيقة طريد العدالة، وانه بعد أن سجن القبطان "دارك" شنق علنا وسط المدينة.

- نعم.. إنني أجد صعوبة في تصديق ذلك.. واعتقد انني لن اكون الوحيدة التي تصاب بالدهشة.

- لا بد انه شنق هناك.. في المكان المقام به التمثال!

إنه التمثال الذي اقيم من أجل "صامويل سانكلير" الملقب بـ"شوت جن" والمفترض انه بطل الثورة ومؤسس المدينة.

أصابتها نوبة من الضحك العصبي.. أسرتها الفخورة هي بها لدرجة لا حدود لها... كل بطولاتها قائمة على كذبة.. لقد أرسل أبوها "ويليام" بعيدا ليحمي صورة تلك الأسرة التي لا تشوبها شائبة طبعا. والآن ستتفجر الحقيقة ويا لها من فضيحة. لقد تم الحصول على كل شيء وفقد من جديد. خرجت من المكتب مع "مايك" وقالت لـ"نانسي":

- لن أعود بعد ظهر اليوم؛ فلديّ أمور يجب أن أؤديها.

لم يستطع "مايك" أثناء الغداء أن يقص اكتشافاته على الخالة "فيك". لقد غادر "ويليام" البيت بعد مكالمة تليفونية قائلا إنه سيعود في الوقت المناسب من أجل معسكر الكشافة. كان قد ترك مذكرة تقول لـ"كاترين":

- يا عزيزتي.. كوني واثقة. واعدي المثلجات والكوكاكولا من أجل عطلة نهاية الأسبوع..

أحبك.. يا "كاتي"!.. "ويليام"

أخيرا قالها "أحبك" وهي الكلمة التي انتظرتها كثيرا ولكنه لم يترك لها الفرصة لتقول وأنا كذلك.

###

مرت بقية الأسبوع في بطء وفي شراء الأشياء اللازمة لمعسكر الكشافة. قرأت "كاترين" مرة ومرة ومرات مذكرات "إميليا". لم يعد هناك أي شك في أن القبطان "دارك" كان بلا نقض ولا إبرام بطلا مغوارا حارب الإنجليز، ومكان شنقه سمي "تل هانجمان" أي تل المشنوق. أو التل الضائع. وهذا الجزء من الأراضي الذي وهبته عائلة "دارك" بعد الثورة للمدينة. إن الماضي والمستقبل يجتمعان بلا شك وبخطورة. خلال المائتي عام الماضية كان للعائلتين قدر يختلف كل منهما عن الأخرى. فقر وعوز والوصول إلى الثورة. ولكن هذا لم يكن تاريخهما.. إن عليهما هي و"ويليام" أن يبنيا المستقبل رغم تذكرتي الطائرة بلا عودة واللتين لا تجد لهما تفسيرا. بقي أمامها أسبوعان حتى تعرف الحقيقة. ولم يعد أمامها سوى أن تعترف لـ"مايك" أنها أمه.

طلبت من الصبي ألا يكشف شيئا عن سرهما التاريخي حتى يعدا مفاجأة مذهلة لـ"ويليام" فور عودته.

###

اتصل "ويليام" تليفونيا مساء الخميس وتحدث وقتا طويلا قبل أن

يحدث "كاترين". قال بصوت حار ورقيق:

- صباح الخير.. أنا مشتاق إليك.

سألته في لهجة حادة:

- هل قمت برحلة ممتازة؟

- يبدو عليك الغضب يا عزيزتي.. هل اشتقت إلي أيضا؟

ردت عليه بحدة:

- لا على الإطلاق.

ابتسم "ويليام".. إنه يتخيلها ثائرة، ولكنها سرعان ما ستغير رأيها عندما ترى الخاتم الفاخر الذي اشتراه من "سافاناه" وتذاكر الطائرة التي حجزها من أجل شهر العسل.

- لست أفهم سببا لرحيلك.. كان من الواجب عليك أن تخبرني! إنها مسألة احترام "آدميتي".

- لدي نية أن أخبرك بذلك غدا في معسكر الكشافة بعد أن ينام الأطفال. سنذهب إلى الغابة ونناقش مستقبلنا وسأريك المفاجأة التي أعددتها لك.

قالت وهي تضع سماعة التليفون مكانها:

- حسنا.. إلى اللقاء غدا.

كان "ويليام" في حيرة. تساءل عن سبب مسلك الشابة. لا شك أنها أدركت أن ادعاءاته حول أراضي مركز المدينة تشكل خطرا حقيقيا؛ فمن ناحية هو مستعد للتخلي عن كل شيء من أجلها ولكنه كان دائما في حاجة إلى أصول له عائلية وهذا الاكتشاف يمثل له فرصة ذهبية لينال الاعتراف به واحترامه.. إن "كاترين" لا تستطيع أن تتزوج من شخص لا يكون محترما.

تقرر إعلان حقوق "ويليام" على أراضي المركز التجاري للمدينة.. إما أن تعيد له المدينة الأرض أو أن تعوضه. أما بالنسبة للمصنع الجديد

الذي يفترض أن ينشأ فوق اراضيه ايضا فيبدو أن ذلك سيكون استثمارا جيدا له.

لقد اتاح اليومان اللذان قضاهما في "سافاناه" فرصة للحصول على الاستشارات القانونية من المحامين المشهود لهم في قضايا المال والأعمال. إنه لن يتراجع أمام أي شيء الآن. لقد كان والده على حق، والعالم كله سيعرف الحقيقة مرة وللأبد.

###

قال "ويليام":

- لا تقل لي إن لديك نية حضور هذا المعسكر إنه ليس سوى معسكر كشافة وليس رحلة حول العالم.

رد "مايك":

- أعرف يا "ويليام" ولكن قل هذا للسيدات..

كان الصبي يرتدي زي الكشافة الرسمي الأخضر ويشبه إحدى لوحات "نورمان روكويل". قال "ويليام" في غضب:

- يا للنساء! إن معسكر الكشافة يجب أن يقتصر على الأولاد.

اعترضت "كاترين":

- كيف هذا؟ أنا قادرة مثلك تماما!

قال "ويليام" وقد بدت على وجهه امتعاضة ساخرة:

- أنت منافسة جديرة بـ"أني أوكلاي".. أنا سعيد جدا بعودتي!

اقترب منها وداعب شعرها وأحست بالخجل أمام الخالة "فيك" و"مايك" الذي تنحنح حتى يخفي حرجه وقال:

- هل من الضروري أن تداعبها هنا.. إنك تسد علي الطريق.

قهقهت الخالة "فيك":

- "كاتي"! كفي عن إحراج "ويليام".. وانت يا "ويليام" اذهب وارتد ملابسك وساعدنا على وضع الخيمة في السيارة.

نفذ الشاب ورحل بحثا عن كيس نومه وهمس:

- ساعود خلال دقيقة.

ملأ "مايك" السيارة بكل ما يخطر على بال من أدوات ومعدات للرحلات والمعسكرات وسألت الخالة "فيك" ابنة أختها عما يجري فأجابتها وصوتها يشوبه النشيج:

- إنه سيرحل مرة ثانية ويهجرنا.

- هيا.. لن يكون ذلك لوقت طويل.

- بل سيفعل.. لقد أكدت فتاة وكالة الرحلات أنه سيرحل خلال أسبوعين.

أمسكت "فيكتوريا ويلينجهام" "كاترين" من كتفيها وهزتها برقة:

- الآن.. عليك أن تسمعيني! إن "ويليام" مجنون بحبك منذ الأبد.. وأنت كذلك ولا يمكنني إذن أن أصدق ولو لثانية واحدة أنه يستطيع أن يتركك ما لم تطلبي منه ذلك! إنك في سن السابعة عشرة لم تستطيعي الاحتفاظ برجل وأريد أن تفعلي ذلك لأنك لو لم تفعلي فلن أغفر لك. انتهزي فرصة مناسبة لتتحدثي معه، وأنتما في الغابة.. يجب أن تمنعيه من الرحيل.

أثناء الرحلة أخذ حديث الخالة "فيك" يتردد في أذنيها، بينما بدا "ويليام" يطير فوق سحابة وهو يغني ويمازح ابنه الذي كان يقهقه من الإثارة. قال "ويليام" لـ"مايك":

- إن "كاترين" تبدو قلقة.. إنها لم تتعود على العمل الكشفي.. ولكننا سنسهر عليها.. أليس كذلك؟

قال الصبي في ثقة:

- نحن موجودان لذلك.

- أنا لست قلقا وإنما أتساءل فقط ما الذي جاءت المرأة لتفعله هناك؟

- خاصة وهي مرتدية هذه الملابس!

- إنه طاقم صيفي.. وهو أجمل من ملابسك الغريبة.

- نعم.. ولكنه ليس عمليا لقطع مسافة أربعة كيلو مترات مشيا على الأقدام تحت الشمس الساطعة!

- من حسن الحظ أن الخالة "فيك" وضعت في حقيبة ظهرك شورتا و"تي شيرت".

- ماذا تقول يا "مايك".. حقيبة ظهر؟ ولكني كنت أعتقد أن الأمر لن يتجاوز أن نعسكر بجوار النهر.

تدخلت "كاترين" في الحديث قائلة:

- نعم ولكن المعسكر يوجد على مسافة أربعة كيلو مترات أعلى النهر!

رد عليها "ويليام":

- إذا فضلت العودة فإنني سافهم.. يمكنك أن تتركينا عند نقطة المراقبة.

فكرت "كاترين" وقررت الا تستسلم هي الأخرى لابد من أن تجد وسيلة لتحجز "ويليام" بجوارهما هي وابنها لا مجال إذن للتراجع والتخلي عن الصراع.

نظرت في عينيه مباشرة وابتسمت ابتسامة حلوة.

- لا مجال للتراجع! لقد أعددت نفسي للتمتع بعطلة نهاية الأسبوع هذه.. إن أربعة كيلو مترات ليست شيئا على الإطلاق.

###

بعد ساعة بدأت "كاترين" تشك في نفسها. كان الكشافة ومرافقوهم قد تقدموا عنها بكثير. فقط "مايك" و"ويليام" في نهاية الطابور وآلاف الحشرات تطير من حولهم. كانت زينتها طبعا غير مضادة للماء والدليل. إنها ساحت على وجهها وليس معها منديل من الورق لمسحها. لم تكن تعرف ما الذي يعذبها أكثر.. الصداع الرهيب في رأسها أم حقيبة الرحلات فوق ظهرها والتي كانت تحز كتفيها كالمنشار. وأسوأ

ما في الأمر أن "ويليام" بدا وكأنه لا يلاحظ شيئا. كان يسير إلى الأمام في انفعال هو وابنه دون أن يلقي نظرة نحوها.

أخذت تصيح فيهما أن ينتظراها دون جدوى وفجأة عند أحد منعطفات الطريق أدركت أنها وحيدة.. ولا أثر للكشافة أو مرافقيهم.. لا أحد. أحست بالإرهاق فوضعت حقيبة الظهر على الأرض وجلست عليها وبدأت الدموع تسيل على خديها. لقد تركوها وكأنها متاع لا قيمة لها. أصبح يزحم المكان وهي عاجزة عن معرفة أين هي وفكرت أنها بالنسبة لـ"ويليام" ليست سوى تسلية مثل معسكر كشافة وسط رحلاته التي لا تنقطع.

صاحت من شدة الغضب:

- أنا أكرهك يا "ويليام" ولتذهب إلى الجحيم!

رد عليها وهو قريب جدا منها:

- فكرة لا بأس بها يا عزيزتي. وأنا الذي كنت أتساءل كيف نصبح بمفردنا معا! إنه ذكاء منك التظاهر بأنك تهت وضللت الطريق..

ابتسم لها ابتسامة أنستها كل حقدها عليه ولكن صوت "مايك" أعادها إلى أرض الواقع:

- أوه يا "ويليام".. هل عثرت عليها.. كيف حالها؟

- بخير وحمدا لله.. اذهب لتنضم لبقية الكشافة وسناتي بعد قليل.. إن "كاترين" في حاجة إلى الراحة بضع دقائق.

ظلا معا وحدهما نصف ساعة كاملة. بعيدا عن الجميع مع سعادتهما. وعندما انضما إلى المعسكر كان "مايك" يرتب حوائجه ويساعد الخالة "فيك" في نصب الخيمة.

ظلت "كاترين" بعيدا عنهم قليلا غير قادرة على مساعدة أحد في أي شيء. كانت تسحق الناموس الذي اجتمع حول ذراعيها في عنف وأحست بالتعاسة الكاملة. وبعد الانتهاء من نصب الخيمة فرد "ويليام"

حاجاتها بجوار حاجات "مايك" وبعدها ذهب ليشعل النار بينما كانت الشمس قد بدأت في الغروب.

بدا "ويليام" بحيويته وفاعليته وطيبته نحو الأطفال وكأنه لا يمكن الاستغناء عنه. أما "كاترين" فقد أحست بأنها حمقاء بصفة خاصة وقررت الذهاب لتغلق على نفسها الخيمة بعيدا عن الناموس. وجدت بين أشيائها "تي شيرت" وشورتا نظيفين؛ وكذلك قطعة من الصابون ومنشفة. قررت أن تذهب لتسبح في النهر مادام أحد لا يعيرها انتباهه. استطاعت أن تعثر على طريقها وسط العتمة.

كان الماء باردا ومنعشا.. غسلت شعرها وجسدها بقوة. ثم غطست لآخر مرة لتغتسل من الصابون عندما أثار انتباهها ضجة عند الضفة.

- هل هناك أحد؟

- نعم يا سيدتي.. خادمك المطيع.. هل الماء جيد؟

- إنه مثلج.

سمعت صوت غطسه في الماء ثم أحست باقترابه منها، وأن الماء لم يعد باردا. لم يطاوعها قلبها في أن تطلب منه الرحيل بعيدا عنها.

ربما لا تستطيع أن تمنعه من الرحيل ولكن على الأقل عليها أن تثبت له مدى عمق الحب ومدى أهمية "مايك" بالنسبة له ومدى حرارة العودة إلى الدار التي هجرها. حتى لو اضطرت- لكي تحقق ذلك- أن تشعل نار المعسكر، وأن تشوي السلاحف.

الفصل الثامن

عاد "ويليام" و"كاترين" إلى المعسكر وشعراهما لايزالان مبللين. قابلا "نانسي" وهي قادمة من الجهة المقابلة وهي تحمل الأوعية المتسخة. قالت:

- حسنا.. لقد أخطات.. لقد ظننت حقا أنك عاجزة عن القيام باي عمل، ولكنك قوية جدا..

- أه.. ها؟ لا أفهم عن أي شيء تتحدثين؟

- هيا..! شرودك.. وشعرك المبلل.. إنني أستطيع أن أتعرف على الناس السعداء.. إن الأطفال لم يلحظوا شيئا.

احمر وجه "كاترين" رغما عنها.. إن سعادتها لم تخف عن سكرتيرتها.

عند عودة "ويليام" للمعسكر قدم العشاء، وأخذ لنفسه طبقا وأخر لها، ثم جلس بجوارها ليتعشى ويتامل النيران، ثم يشترك في النقاش بدأ قائد الكشافة الحديث، وقص روايات عن الأشباح، كانت كل

www.ahlamontada.com

واحدة منها مرعبة اكثر من الأخرى. واخذ الصغار يغمضون أعينهم رغما عنهم، ثم سرعان ما عادوا إلى الفراش عندما صاح قائد الكشافة وهو يطفئ النيران:

- هيا يا أولاد.. لقد حان وقت النوم.

انطلق الجميع ناحية خيامهم بعد أن تلقوا التعليمات الخاصة بصباح اليوم التالي. اقترب "مايك" في خجل من "كاترين" وقال:

- تصبحين على خير يا "كاترين" وشكرا لأنك صحبتني.

- لقد عشقت هذه الرحلة، ولكن قل لي ما الذي يجب عليّ أن أفعله الآن.. هل ارتدي "البيجاما"؟

اجاب "ويليام" بدلا منه وهو يربت على كتفها:

- ليس ضروريا. تصبح على خير يا "مايك".. ونم سعيدا. انا و"كاترين" سنقوم بجولة لدقائق.

هز "مايك" رأسه موافقا وهو يشاهدهما يبتعدان وقد تشابكت يداهما. سالته "كاترين" وقد بدت عليها علامات الدهشة:

- ما الذي تنوي أن تفعله؟

- ساعطيك آخر تعليماتي.. كيف تعيشين كالمتوحشين في الغابة مثلا.

عندما عادت "كاترين" إلى الخيمة بعد نصف ساعة عرفت انها لن تجد صعوبة في الاستغراق في النوم. نامت فوق الأريكة في عمق شديد ولم تستيقظ إلا على صوت الكشافين الصغار وهم يتناولون إفطارهم.

وبعد صباح مشغول في اكتشاف مختلف خلاصات الأشجار والعدد الذي لا يحصى من الطيور حصل الصغار على إذن بالذهاب للسباحة في النهر. جلس "ويليام" و"كاترين" على جذع شجرة ساقط واخذا يتاملان ابنهما يتصارع مع الآخرين.

فجاة انطلقت صرخة مدوية. كان "مايك" يصارع الأمواج التي سحبته

للداخل بكل قواه حتى يستطيع أن يحتفظ برأسه عاليا فوق الماء. صاح قائد الكشافة صارخا:

- بسرعة يا أطفال بعيدا عن النهر.

قفز "ويليام" والقى بنفسه في النهر بينما ساعدت "كاترين" والآخرون الأطفال للخروج بسرعة من النهر. سمعت الشابة نداءات المساعدة اليائسة لابنها، ورأت والده يسبح بقوة نحوه ولكن الموج كان قويا، ولم يستطع "ويليام" الاستمرار في التقدم، ثم اختفى "مايك".

أشارت "كاترين" إلى المكان الذي اختفى فيه ابنها وصاحت قبل أن تقفز إلى الماء:

- من هنا يا "ويليام".. ساعدني.. اوه يا إلهي!

لم تعد ترى شيئا وقلبها يدق بسرعة رهيبة إن ابنها الحبيب سيموت.. بدأت تدعو الله في سرها: أين انت يا "مايك" من فضلك رد علي!

وفجاة ظهر رأس الطفل لمدة ثوان. اندفعت للأمام بكل قواها ونجحت في الإمساك بشعر ابنها واخذت تشده وتجذبه نحوها وهي تصيح طالبة النجدة، ولسوء الحظ كان الطفل الغريق يصارع.

اخذت تتوسل إليه أن يهدأ ولكن دون جدوى. وإذا استمر على هذا الحال فإنهما سيموتان في النهر. اخذت تنتحب وتتضرع:

- كف يا "مايك".. كف!

نظر إليها "مايك" في إمعان للحظات فقالت:

- أرجوك أن تكف يا عزيزي.. انا امك.. انا احبك! انا امك الحقيقية.. يا حبي.. كن عاقلا.

حاولت الوصول إلى ضفة النهر وهي تحدثه في رقة. تمكن قائد الكشافة من الإمساك بهما وسحبهما إلى بر الأمان. كانت "كاترين" تبكي في صمت وهي منهكة. لقد انقذت ابنها. لقد تم إنقاذ "مايك".

ولكن في اللحظة التي ناولت فيها ابنها إلى قائد الكشافة تعثرت، وسقطت على ظهرها، ثم حملها التيار بعيدا. لم تصارع لأن الأمر كان فوق استطاعتها، وتركت نفسها تغرق.. فهمت أن ساعتها الأخيرة دنت وأخذت تدعو الله بكل إيمانها. كان آخر خاطر لها يدور حول "ويليام".. الذي لم يكن موجودا.. دخل الماء رئتيها.. إن النهر على وشك أن يغتالها.. يا إله السماوات.. لماذا لا يأتي "ويليام"؟

امسكت ذراعان قويتان بها بقوة وأحست بأنها سحبت نحو النور. استنشقت جرعة قوية من الهواء وسمعت من يقول لها:

- "كاتي" يا عزيزتي.. انا هنا فلا تخافي شيئا.

أخذت تشهق:

- "ويل".. "ويل".

- نعم انا هنا.

كانت الأمواج الهائجة تطيح باشياء عديدة مثل جذوع الأشجار المكسورة. صدمها احدها بكل قوة في كتفها فاطلقت صرخة من الألم قبل أن يغمى عليها.

عندما عادت إلى صوابها شاهدت ثلاثة ازواج من العيون تحدق فيها في قلق شديد.. كانت موجودة وسط فراشها. همست:

- ما الذي جرى؟

قالت الخالة "فيك" والدموع تملأ عينيها:

- "كاترين"؟

قال "ويليام" في مرح:

- يا عزيزتي!

نادى عليها "مايك" بصعوبة:

- ماما؟

في الحقيقة لم تسمع سوى هذه الكلمة.. إن ابنها لم يمت، وناداها

"ماما"! أخيرا عرف الحقيقة باكملها. ثم تذكرت المشهد.. المشهد في ثورة وصراع.. و"ويليام".. اخذت نفسا عميقا ثم ارادت أن تجلس. أمرتها الخالة "فيك":

- لا.. لا تتحركي.. لقد اصيب ذراعك إصابة بالغة وقد أعطاك الطبيب مخدرا.

عاد الألم يهاجمها شيئا فشيئا.. ولكن كان من المستحيل أن تنام.. لا.. ليس قبل أن يحدثها "مايك" وأن يمسك بيدها.

شرح الصبي وهو مدرك لصلواتها الصامتة:

- لقد انقذت حياتي.. لقد قفزت في الماء وعثرت عليّ.. لم اكن أظن انك تستطيعين أن تفعلي شيئا كهذا..!

- ولا أنا ايضا.. لقد وثقت انت بي...

- طبعا يا أمي! لقد كانت جدتي تقول لي دائما إن أمي الحقيقية ستاتي لتاخذني. ولقد اتيت وانقذت حياتي!

هزت "كاترين" رأسها موافقة ثم اغمضت عينيها من السعادة. لم تجد ما تقوله وقلبها يفيض سعادة. إنها مشرقة.. لقد انقذت.. و"مايك" ايضا تم إنقاذه والحقيقة تفجرت لتحل محل التشوش والأسى الذي لازمها طوال حياتها. كل شيء سيكون على ما يرام.

###

عندما فتحت "كاترين" عينيها من جديد لم يكن هناك سوى "ويليام" عند فراشها. كان جالسا وقد أخفى وجهه بين كفيه نادته:

- "ويليام"؟

لم يرد عليها وكانت انفاسه متلاحقة.

- هل انت بخير يا "ويليام"؟

تاوه وهو يقول:

- لا.. لست بخير.. لقد تركت ابننا يغرق.

- هل أنت مجنون؟

أمسكت بذراعه وأجبرته على أن يظهر وجهه.. كان يبكي. همست:

- إنه بخير.. سنكون بخير.

- ولكني لم أستطع أن أفعل شيئا يا "كاتي" لقد منعني التيار من التقدم.. لقد واتتك الشجاعة لتقفزي.. الشجاعة لإنقاذه.. أنت بمفردك!

- إنه القدر.. ولا يمكن أن يلومك أحد.

- أنت لا تفهمين.. إن هذا الطفل لن يثق في بعد الآن أبدا.. أنا أحبك بقوة وكنت على استعداد للموت من أجلك ولكني أفسدت كل ما فعلته! لقد حكمت علي حكما صادقا.. ساتركك الآن.

نهض ونظر إلى "كاترين" لحظات طويلة قبل أن يغادر الحجرة. استطاعت "كاترين" أن تسمع صوت خطواته على الدرج يتلاشى تدريجيا ثم انطلقت سيارة. بعدها ساد السكون.. لقد فاز النهر وحصل على كل شيء... لقد أعاد النهر إليها ابنها وأخذ منها "ويليام".

###

اضطرت "كاترين" لملازمة الفراش لمدة ثلاثة أيام. كانت تمر بحالة من الحب الكامل لابنها، ثم بحالة من الخواء عندما تفكر في "ويليام". أين هو؟ لماذا رحل؟ إنها لم تعد قادرة على الأكل أو النوم، بل لقد استعصى عليها الكلام والسؤال عن أخباره. وأخيرا استجمعت الخالة "فيك" شجاعتها وبدأت في مطاردة ابنة أختها.

- ما الذي تنوين أن تفعليه ببقية حياتك؟

الاختفاء هنا مع ابنك؟ لا تفعلي نفس الغلطة التي فعلتها مع والدك يا عزيزتي..

- والدي؟ ما الذي تقصدينه؟

- لقد كنت عاشقة لأبيك يا عزيزتي. وكنت أعتقد أنه يبادلني الحب. ولكن الخوف من الإشاعات كان أقوى وحطم حبنا. لقد ظللت إذن في

البيت الخاص بالضيوف وهو في القصر حتى وفاته.. لا تتصرفي هكذا يا عزيزتي.. وتصرفي بحكمة!

الخالة "فيك" وأبوها؟ الآن كل شيء بدا واضحا فجأة.. طريقة تجنب كل منهما الآخر.. ولكن ما دخل هذا بهما هي و"ويليام"؟ قالت:

- ولكن "ويليام" هجرني للأبد.

- كل الطرق تؤدي إلى فندق "دارك".. ألا تعرفين ذلك؟

صاحت:

- هل هو موجود في الفندق؟

- نعم.. ولكني لا أعرف إن كان سينتظرك طويلا.

- ولكنه يعيش مع ذكريات جبنه يا خالتي "فيك". أب لم يستطع إنقاذ حياة ابنه!

- عندما لا يعرف الرجل العوم يصبح من المستحيل عليه إنقاذ ابنه.. أليس كذلك؟

- ألا يعرف السباحة؟

- كلا.. إنه لم يتعلمها أبدا.

حبست "كاترين" أنفاسها.. كل أفراد أسرته لا يعرفون السباحة.. وهو حاول مع ذلك إنقاذ "مايك".. إذن الأمر ليس غلطته...

- ولكن لماذا لم يقل شيئا؟

- إنه يشعر بالعار.. بالعار من ماضيه وحاضره.

- ولكني أحبه.. أحبه على ما هو عليه.

- بل يجب عليك أن تحبيه لأنه أنقذ حياتك على حساب المخاطرة بحياته.

عاد مشهد الغرق إلى ذهنها ثانية.. والأمواج والدوامات والماء الذي أغرق ذراعي "ويليام" القويتين. لقد فهمت لتوها ذلك. لقد وثقت به كما فعلت طوال حياتها.. لقد فقدت "ويليام" بسبب غلطتها هي. لو أعلنت

"مايك" بالحقيقة منذ البداية لكان الطفل متفهما جدا. لقد ضيعت كل شيء بسبب خوفها من ان ترفض وتهجر، يجب عليها التغلب على كل ذلك. إنها تريد ابنها و"ويليام دارك" ولن يعوقها شيء أبدا عن تحقيق ذلك.

###

ارتدت "كاترين" ملابس الخروج وهبطت إلى المدينة. لقد حان الوقت لاستئناف مهامها كعمدة لابد أن تسهر على الاحتفال بمرور قرنين على الثورة وتوقعت أن تقابل "ويليام". صاحت "نانسي" عندما رأتها تهل عليها:

- اوه.. حسنا.. لقد حان وقت عودتك.. إن سحنتك رهيبة يا عزيزتي!

- شكرا لأن هذا يرفع من روحي المعنوية. اخبريني باخر الأنباء.

- لقد عمل "ويليام" جادا وقد انتهيت من كتابة الأوراق على الآلة الكاتبة...

- عن أي شيء تتحدثين؟

- عن أوراق تعيد الأراضي إلى المدينة. وفي مقابل ذلك يسمح له المجلس المحلي ان ينشئ مصنعا جديدا وقد قبل البنك القرض واستانف مكتب تشغيل الموظفين القدامى عمله..

- الموظفين القدامى؟

- نعم.. إن المصنع لن يستخدم إلا السكان العجائز.. هذه عبقرية فذة.. اليس كذلك؟ إن هذا الرجل افضل من عرفناه في حياتنا منذ وصول "شوت جن سانكلير".

كيف خطرت على بال "ويليام" هذه الفكرة ولماذا لم تفكر فيها هي؟ إنه حل عبقري وغير عادي..

- لقد شغلتنا الأخبار والأحداث.. أين "ويليام" في هذه اللحظة؟

- في مكتبك.. لقد أدى عملا رائعا ويستطيع أن يحل محلك في يوم

من الأيام! أو ربما سنحصل على عمدة برأسين ما رأيك؟

- ولكن ليست لدي أي نية في الاستقالة! إن هذه مؤامرة.

كانت ثائرة وهي تحدج الباب الذي خلفه جلس "ويليام":

- حسنا.. لقد فكرت أنك عندما تتزوجين ربما ترغبين في البقاء في البيت. حسنا بعد العودة من رحلة شهر العسل.

كررت "كاترين" وهي مذهولة:

- رحلة شهر العسل؟

- اعلمي أنه عندما أخبرتني "ماري مانيلي" أنها حجزت له تذكرتين لرحلة الزواج في المكسيك أصابتني الفرحة. وقالت إنه بعد ذلك سينضم إليك "مايك"، والخالة "فيك" في مدينة "ديزني".. إنه شيء رائع! لماذا لم تخبريني أن "مايك" هو ابنك؟ شكرا على الثقة!

- أعتقد أنني سأصاب بالجنون.. اذهبي وأحضري لي قهوة.

- حاضر يا سيدتي!

وضعت "كاترين" كفها على مقبض الباب وادارته برقة. انفتح المصراع قليلا بحيث سمح لها برؤية "ويليام" وهو يتحدث في التليفون. رفع عينيه بطريقة آلية إليها.. سالته:

- ما هي حكاية شهر العسل في "المكسيك"؟ هل تتكرم وتشرح لي؟

- لا تخافي من شيء.. بعد الذي حدث سالغيها..

- لماذا؟

- أنت تعرفين جيدا السبب سانتهي من آخر تفاصيل الحصول على المصنع خلال ثلاثة أيام واختفي فلا تخشي شيئا!

- إيه.. وماذا عن "مايك"؟

- لا شيء.. هذا الطفل سعيد في مكانه وهوّ محاط بعاطفتك. لقد تناقشنا انا وهو بعد أن أخبرته انني والده.. لقد فهم الموقف.

- ولكنه لم يحدثني في الأمر.

- لقد خشينا أن نسبب لك ألما.

- وماذا تنوي أن تفعل بعد عودتك من "السعودية"؟

- هناك شخص آخر سيذهب بدلا مني. سانتقل إلى "سافاناه" وهكذا لن أكون بعيدا عن "مايك"، ويستطيع أن يلقاني في كل مرة يريد ذلك.

- أرى أنك حللت كل المشاكل وطبعا دون أن تحدثني عنها.

- لقد ظننت أنك لا ترغبين الحديث فيها معي!

قالت وهي تتجه نحو النافذة:

- فهمت.. والآن ستختفي كعادتك. أليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل.

- لا تعتمد على ذلك.. ليس هذه المرة.

- إنني لا أفهم ما تقصدينه:

- لقد فعلت كل ما في استطاعتك حتى أقع في غرامك!

ثم قررت يا سيدي أن ذلك ليس في مصلحتي وهكذا تختفي... لقد انتهى ذلك يا "ويليام".. لم يعد هناك مجال لذلك.. هذه المرة سنتزوج ونؤسس أسرة وربما ننجب أطفالا.

وقفت "كاترين" مستندة على زجاج النافذة وقد عقدت ذراعيها على صدرها في حركة دفاع:

- وإذا حاولت أن تهرب فسامنعك! وساجعلهم يقبضون عليك.. إن العمدة هي التي تتكلم الآن.

سألها وهو مبهوت تماما:

- هل أنت جادة حقا؟

- هل تراهن؟ إن مكانك في المنزل.. وأمامنا إعداد الاحتفال ودعوة نصف سكان البلدة.

اقترب "ويليام" منها وقد بدا الشك على وجهه.

- أنت تبذلين جهدا لا طائل من ورائه يا "كاتي"

ردت عليه بخشونة:

- لماذا؟

- لأنني لا أستطيع أن أجعلك سعيدة وأنت تعرفين ذلك.

- إن الأوقات السعيدة التي مرت في حياتي كانت وأنت بجواري. إنك لن تتركني أبدا يا عزيزي.

أحس "ويليام" بمدى حب هذه المرأة له.

أحس بهدوء مرح يغزوه وهو يرى الحب منعكسا على عينيها. قال:

- لا مجال للنقاش في إمكان أن أتركك، وكنت ساخذك معي إلى أي مكان أذهب إليه.

اختفى التوتر الذي تجمع خلال الأيام الماضية فجأة كأنه اختفى بفعل السحر.. قال "ويليام" أخيرا:

- موافق يا عزيزتي.. سنتزوج أمام كل الناس وهذا يسعدك ولكن بالنسبة لي أنت زوجتي منذ وقت طويل.

أعادهما صباح سعيد إلى الواقع. سألت في ذهول:

- ماذا حدث؟ ما هذا؟

أسفل مقر العمودية وفي وسط الميدان كان عشرات الأشخاص يراقبونهما ويصفقون لهما.

كان الاحتفال التذكاري للثورة قد بدأ والميدان مزدحم بالحاضرين والمشاهدين والممثلين.

كان "چو هول" سجين حلة من طراز العصر القديم وامسك بالميكروفون، وانتظر حتى انتهت الفرقة الموسيقية من الافتتاحية. ثم أعلن:

- سيداتي.. سادتي! أنتم مدعوون إلى الأحتفال بعيد الثورة، وحضور عملية إصلاح غلطة رهيبة استمرت للأسف فترة طويلة منذ قرنين بالضبط.

أصاخ الجمهور السمع، وقد بدا عليه الاهتمام فجأة.

- والتي ستنتهي بالزواج الفاخر للآنسة "كاترين سانكلير" من السيد "ويليام دارك".

بدأت الفرقة تعزف مارش الزواج. فجأة خرجت "كاترين" من مقر العمودية ووقفت على أول درجة ومدت يدها للرجل الذي كان ينتظرها والذي همس:

- اتعشم أن تكوني عارفة بما تفعلينه يا عزيزتي. لدي إحساس أن هذه الجماهير لم تحضر لمشاهدة زفاف، وإنما لمشاهدة عملية إعدام تعسفي!

قالت ضاحكة:

- آه.. أنت مجنون! لا.. إنهم لا يتمنون سوى زواجنا. إن خوفك سيجعلك تستمتع بهديتي..

- هديتك؟ ولكن هديتي هي أنت ولا شيء آخر..

أخذ يتاملها وهي تشبه الملاك المشرق في ثوبها من الساتان المحلى بالدانتيلا وأحس بقلبه يرتجف. تفرق الجميع ليفسحوا لهما طريقا، ودخلا مرة أخرى إلى مقر العمودية ليصبحا زوجا وزوجة إلى الأبد.

بعد انتهاء المراسم أخذ "چو" الميكروفون ثانية وبدأ - أمام كل أهل "دارك ريفر" - يقص القصة الحقيقية لبلدتهم والأدوار التي لعبها كل من "شوت جن سانكلير" و"دانيال دارك".

نظرت "كاترين" إلى "ويليام" نظرة مختلسة وغمزت له بعينها. وعندما انتهى "چو" من خطبته بدأ الجمهور يصفق بقوة ثم ظهر الممثلون على المسرح يقلدون المعركة التي قامت بين الرجلين.

همست "كاترين" في أذنه:

- هذه هي القصة الحقيقية التي اكتشفناها أنا و"مايك" في مستند من ذلك العصر.. وهذه هي هديتي للزواج.

دفعت الشاب إلى الميكروفون والقى وهو منفعل خطبة اعرب فيها عن دهشته وسعادته، وشكر سكان "دارك ريفر"، ثم اعلنهم انه سيعيد الأراضي إلى المدينة ولا يطلب سوى شيء واحد أن يصبح للأبد جزءا لا يتجزأ من المجتمع.

أصاب الجمهور هوس الفرحة، وأخذ يصفق بحرارة بينما عزفت الفرقة لحن "من أجل رفيق جميل".

قبلها "ويليام" أمام كل الناس في حين همست:

- وماذا عن رحلة شهر العسل؟

- غدا يا عزيزتي.

- لست أدري إن كنت أستطيع الصبر حتى الغد.

- أنا لا أتحدث عن الرحلة.. إن أمامنا ذكرى لابد من إحيائها.

- آ.. لست أفهم.

- احتفال تحت شجرة على ضفاف النهر الأسود.

خاتمة

- انظري يا خالتي "فيك"!

عبر "مايك" الميدان وهو يجري ويحمل جائزته التي هي نسخة مصغرة من تمثال الجنرال "سانكلير".

- ما الذي ستفعله بها؟ لم يعد هناك سبب لبقائها.

- بل هناك.. إنها عائلة أمي وساضعها مع شخصيات القطار الكهربائي.. خبريني يا خالتي "فيك" هل أنا من عائلة "سانكلير" أيضا؟

- طبعا.. أنت "مايكل سانكلير دارك".

- وأبي؟ لقد أنقذ حياة أمي وتزوجا الآن. ألم يصبح هو أيضا من عائلة "سانكلير"؟

- هذه ليست العادة يا عزيزي وهذا أحسن لأن اسم "سانكلير" لم يعد له نفس المعنى، ومع ذلك من قال إن يوميات شابة من ذلك العصر كانت صادقة؟ ألم تكن عاشقة للقبطان ولذلك صنعت منه بطلا؟ لا أحد يستطيع حقا أن يعرف.

كان النهر ينساب في عظمة وهدوء وفي ظل شجرة بلوط معمرة كانت "كاترين" و"وليام" ممددين.. تماما كما كانا يفعلان من عشر سنوات على ضفاف النهر الأسود.